297.38: B16A

الباجي ، محمود ،

297.38
B16A

JAFET LIB.
31 MAR 1988

JAFET LIB.
11 MAR 1980

JAFET LIB.
13 APR 1990

محمود الباجي

297.38
B16wA

وفد الله

الى

حرمه الآمن

- مشروعية الحج وحكمه العليا
- المناحي الروحية في مشاعر الحج
- المناسك على مقتضى المذهب المالكي
- دليل الحج لأهل القارة الافريقية
- المدينة المنورة واسرار زيارتها
- خواطر واستلهامات

نشر وتوزيع دار الكتب الشرقية

الطبعة الاولى ١٣٧٥

تونس

حامي الحرمين الشريفين ، وناشر العدل والامن ، وباسط الرفاهية واليسر سيد الجزيرة وراعي العروبة الاكبر صاحب الجلالة الملك الصالح سعود بن عبد العزيز اعز الله به الاسلام ،

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في كتابه الحكيم

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا

تقديم

اخي.. ايها الوافد على الله - الذاهب الى حرمه الامن . وحرم رسوله الطاهر .

امن الله ركبك . ووضع عنك وزرك . وتقبل سعيك ونسكك .

لقد تحدثت اليك في هذه الخواطر . عما تفيضه المشاعر على الروح من سمو ويقظة باطنيه وصورت لك ما وسعني اللفظ بعض الخوالج التي تشرق بها نفس القادم على البيت العتيق واشهدتك الجانب الروحي من آداء المناسك . واسباب التعرض لنفحات الحجاز وبقاعه المقدسة واشركتك في رحلتي كما اخترت ان يقوم بها ابناء الشمال الافريقي فكنت معي في المطار.

وفوق سماء مصر العزيزة . وفي مزاراتها . ومنها الى مدينة الرسول الاعظم مبتدئا بزيارة مسجده وبيته لانه باب الله واي امرء اتى من غير بابه لا يدخل . ومختتما باداء فريضة الحج .

وقدمت اليك احكام الحج وآداب الزيارة وفق المذهب المالكي الزكي مقارنا بفقه مذاهب الايمة الثلاثة رضوان الله عن جميعهم .

وتحريت ان يكون السفر مثيرا لشوقك ، كاشفا لك عن الحكم العليا لاعمال الحج ، وفوائد الزيارة النبوية ، محددا لك الخطوط الهامة لتسير على هدي من التجرد والاشراق ، وتتهيا نفسك لقبول الفيوضات الباهرة ، وتتريض بواطنك على السبح في معادر النور ، واجواء القرب والدنو .

وحاولت ان تستغني بهذا السفر عن سؤال من لا يتحرى ان يرشدك الى غير الصواب او يعسر عليك ما يسره الله اليك .

فسر يا اخي على بركة الله ، والله صاحبك في سفرك ، وخليفتك في اهلك ولي عليك كاي اخ مسلم ان يعمني دعاؤك ، ويشملني استغفارك ، وتبلغ عني سلامي الى سيدنا ومولانا الحبيب ، وصاحبيه الشيخين الجليلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

تونس في ذي القعدة ١٣٧٦

محمود الباجي

صورة جامعة للكعبة الغراء وزمزم والحطيم والمطاف والمنبر

وأذّن في الناس بالحج

منذ ان امر الله خليله ابراهيم عليه السلام بان يؤذن في الناس بالحج ومنذ ان صعد الخليل فوق جبل قبيس قائلا : (رباه وماذا عساه يبلغ صوتي) واجابه ربه : بأن (عليه الاذان وعلى الله الابلاغ) وتوجه الى الجهات الاربع وقال يا ايها الناس « الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم : فاجابه كل من يحج من اصلاب الآباء وارحام الامهات » ـ « لبيك اللهم لبيك »

من ذلك التاريخ ومواكب البشرية تمر من جميع اطراف الدنيا عبر البحار والصحاري متجهة الى بيت الله تلبية لدعوة ابراهيم

ومن ذلك التاريخ مر بالروحاء سبعون نبيئا فيهم نبي الله موسى عليهم العباء يؤمون بيت الله كما رواه انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومر بوادي عسفان هود وصالح على بكرين احمرين خطمهم الليف وأزرهم العباء وارديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق كما رواه الامام احمد في مسنده

ومن ذلك التاريخ وبيت الله مطهر من الالحاد والظلم لان الله توعد الظالم فيه والملحد بان يذيقه من عذاب اليم . والمسجد الحرام مجعول للناس على السواء ، المقيم فيه ، والقادم عليه لان الجميع سواء في النزول به ليس المقيم احق بالنزول من القادم ولان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة احق بمنزله منهم

ومن اجل ذلك كان السفر الى بيت الله احب الاسفار الى النـاس واجل الرحلات التي يقومون بها مهما كانت وسائل السفر : وكان المسافر يشعر بانه في عبادة منذ ان فارق بيته وودع اهله وشد رحله نحو البيت فلا يثنيه عن ذلك ان يصيبه ظمأ ولا نصب ولا مخمصـة في سبيله ولا ان تقوم في وجهه التطورات الطبيعية الحادة .

ورغم ان الشريعة الاسلامية لا توجب الحج الا على من ملك الزاد والراحلة فـان المسلمين يتوافدون على البيت الحرام ولو لم يكونوا يملكون الزاد والراحلة وهؤلاء المشاة منهم يقدمون راجلين من اقاصي القارة الافريقية ، وتخوم البلاد الهندية ، ومناطق القطب الشمـالي لا يملكون الا الشوق الشديد الى مشاهدة كعبة الاسلام وقلبه الجامـع . واداء مناسك الحج . ومنح الروح وسائل الطهارة والاخلاص والتجرد ولا يحملون الا عزائم ذللت جميع المصاعب . واستسهلت كل الاخطـار واندفعت قوية جارفة لا تلوي على شيء .

وهؤلاء - الراكبون - على الدواب . وعلى السيارات وعلى الحافلات وعلى الجواري المنشئات في البحر . وعلى متون الاجواء تضيق بهم مسالك (بحرا) و (حداء) و (ام الـدود) - و (ذي طوى) و (فخ) و (سرف) و (المحصب) و (جرول) و (الحجـون) وتحدوهم غايـة واحدة . وتجمعهم تلبية واحدة - يشجعهم الامل العذب . ويحركهـم الشـوق الشديد ويحرقون المراحل الشاسعة ليبلغوا الحرم الحرام . وليكبروا الله على ما هداهم . ويتعلقوا باستار الكعبة الغراء لائذين بحماها الآمن مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا

ثم اولئك الكشافون الذين يرون في الحج اشياء اخرى غير المناسك والشعائر ويخلصون الى النظام الكشافي بادق معانيه فيرحلون حاملين الخيام والادوات والاطعمة . ويضربون في ملكوت الارض مطلعين معتبرين . ويخضعون مخلصين الى قانون الاستكمال النفسي فتشتد مقاومتهم لمؤثرات الهوى . والعادة والاسفاف . وترتفع معنوياتهم الى اسمى الدرجات وينتصرون على الانانية والكبرياء . وعبودية الجسد . ولا ينتهي بهم السير الا وقد اعدوا انفسهم لاستقبال الاشعاع الالاهي فترتسم انواره على قلوبهم . ويمازجون النفحات السماوية التي تملا الاجواء بجواذب القرب واسرار الابتهال

ولم يشرع الاحرام من مسافات معينة مسبوقا بالطهارة البدنية والنفسية . ومتبوعا بالتجرد من الثياب المخيطة والمحيطة بالجسم على نسق يتساوى فيه الصغير والكبير . والغني والفقير . والعظيم والحقير الا لتاكيد هذا المعنى الذي اقتبسه رجال الكشافة والداعون الى مبادئها من شعائر الحج واخذوها عنه

والحق ان السفر الى الاراضي المقدسة كيفما كان سبيله . وعلى اي لون كان . وفي اي الاوقات تسنى . يمثل في حد ذاته . وبصرف النظر عما وراءه سفرا من الاعتبار . ودرسا بليغا من دروس الحياة . ومتعة بريئة من متع النفس

ومن اهم الانظمة التي يستكمل بها السفر مقاصده الشرعية والاجتماعية ان يكون رفقاء المسافر متحدين في العزائم والغايات والاهداف . كاسنان المشط في الاستواء . وكالنفس الواحدة في التئام

الاهواء . وان يؤمروا عليهم ارشدهم رايا . واصلحهم سلوكا . وارحبهم صدرا . ويدينوا له بالطاعة والانقياد ليدخل هـذا التدبير في رياضة النفوس . ويحملها على النظام استعدادا لدور الاستسلام الكلي لمشيئة الله والالتجاء الى ساحة عفوه وغفرانه في ذل المذنب . واستكانة النادم . وطاعة العبد الامين

ويجب ان يجتهد المسافر الى الحج في اعداد نفسه منـذ خطواته الاولى لنسيان شواغله الدنيوية . وقطع الصلات التي تربطه بمحيطه الضيق . وبما تركه وراءه من اهل وبنين . واموال واعمال . والتوجه بكلياته وجزئياته . وبعواطفه واحاسيسه وافكاره وتاملاته الى خصوص مـا هو مقدم عليه والاستشعار دائما بانه متوجه الى الله . ومسافر اليه . ومرتحل الى بيته الحرام وهو ان لم يفعل ذلك . غالبه الطريق ووصل الى الاماكن المقدسة من غير ان يتهيأ لتلقي النواميس العظمى والآيات البينات

« ان اول بيت وضع للناس للـذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا . »

واذا لم تتجاوز مشاعر الحاج ومرئياته الاولى لما وراء حدود الحرم ولم يحس بالتجاوب الروحي من اول الامر ولم يترق في توسلاتـه ومناجاته واستغراقاته شيئا فشيئا فان الحج يفقد الكثير من قدسيته وروحانيته وتجرده

ولقد ثبت ان النبيء صلى الله عليه وسلم عند خروجه لحجة الوداع وقف بعد اجتياز عشرين ميلا من المدينة بـذي الحليفة واغتسل وتطيب وركب ناقته واهل حين علا على شرف البيداء قائلا : « لبيك اللهم لبيك .

لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك .»
ومن ثم دخل عليه الصلاة والسلام في حالة جديدة من الروحانية والالتجاء
الى الله حتى اذا كان بالاثاية بين الروثية والعرج على مسافه خمسة واربعين
ميلا من المدينة . اذا ظبي حاقف في ظل شجرة فيه سهم . فامر رجلا
ان يقف عنده لا يريه احدا من الناس حتى يجاوزوا . وهكذا حمى الظبي
من اصحابه وحماهم منه وعلمهم ان يكونو في حالتهم الجديدة مثلا للرحمة
والامن والرفق

وعلى المسافر الى الحج ان يعلم انه بمجرد ان يدخل البيت الحرام
يشرع في الطواف بالبيت طواف القدوم ويفتتح اشواطه بتقبيل الحجر
الاسود . وانه عندما ينحني على ذلك الحجر يقبله . يصافح يمين الله
في ارضه ويبايعه على التوحيد والاخلاص له واتباع دينه الحق كما جاء في
رواية الطبري عن ابن عباس . فالقادم على الله والمصافح يمينه . والمعاهد
له على الطاعة والامتثال يجب ان يكون قد خرج من دنيا نفسه . وفرغ
من شواغل ذاته . وكسب النصر على جسديته الطاغية . وهواه الباغي .
وشيطانه الآمر بالسوء وفر الى الله . والتجأ اليه وحده . واستسلم لربوبيته
استسلام العبد المخلص في عبوديته . ولن يكون ذلك الا بالقيام بكثير
من الرياضات قبل الحج واثناء الطريق وبالسعي الصادق في رد المظالم
واصلاح ما افسدته النزوات الحمقاء . والغمرات الجارفة . وجعل حد
متين بين الماضي الآثم . والاتي المرجو الاشراق . والعزم الاكيد على
الخروج من حياة الريبة والوزر . والقذارة . الى حياة اليقين والطاعة
والطهارة .

والواقع ان السعي الى الحج قيام بمعركة حربية ذات شأن خطير في مصير الانسان فاما ان يستعد لها الاستعداد الاحزم . ويقدر اوجه النصر فيها . ويحسب لكل حركة فيها حسابها . فيكتب له الفوز والافانه يخسر المعركة ويقع في الهزيمة النكراء . والاعداء التي تطاول الانسان في تلك المعركة هي الشيطان بخيله ورجله . وامراض النفس بجميع الوانها . وقيود العادة والتقاليد . والوشائج التي تربطه ببيته واملاكه واولاده

واذا كان المصلي الذي ترد عليه صلاته كما يرد عليه الثوب الخلق يطمع في ان ياتي بصلاة اخرى يقبلها الله فتكفر هذه عن تلك واذا كان الذى ليس له من صيامه الا الجوع والعطش يطمع ان يكفر عنه صوم آخر يقبله الله مقابل ما اضاعه في صومه السابق . فان الحاج الذي ليس له من حجه الا التعب والتغرب واضاعة الاموال يخشى ان يرجع من حجه عامر الذمة . مفرطا في احب الفرض واقر بها من الرحمة وغفران الذنب . عاجزا عن كسب المكتشفات الاولى ولو استطاع العود الى المشاعر والمناسك . ولربما كانت هذه الاعتبارات هي التي حملت فريقا من اهل العلم على القول بان الحج الفرضي يجب مرة في كل خمسة اعوام ولو انه قول ليس له نصيب كبير من الوثوق والصحة .

هذه بعض الخواطر العامة حول العزم على الحج والخروج اليه والتأدب بادبه . واهتبال فرصه ومواسمه . ويجب ان تخصص كل مرحلة من مراحله . وكل شعيرة من شعائره . وكل موقف من مواقفه . وكل نفحة من نفحاته بدراسة خاصة وتحليل مستقل ومن الله نستمد العون وهو ولي التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم
ولله على الناس حج البيت
من استطاع إليه سبيلا
صدق الله العظيم

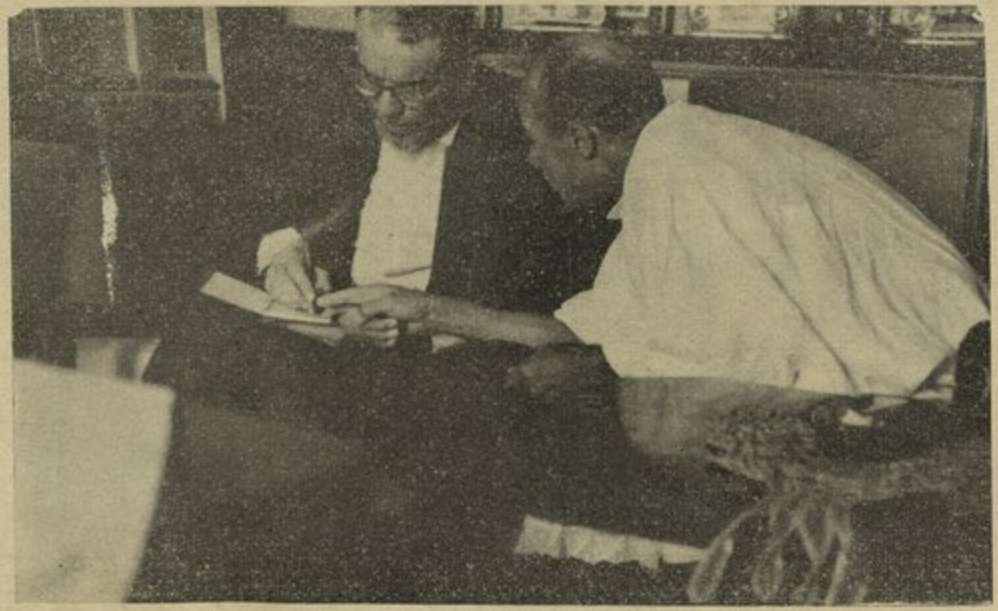

المؤلف عند السفر الى الحج يكتب وصايا ونصائح الاخوان المودعين

يا أيها الناس اشهدوا منافع لكم

يا ايها الذين انقظت الاوزار ظهورهم . ويا ايها الذين حجرت الخطيئة عواطفهم . ويا ايها الذين سدت الاثام طريقهم الى ربهم . ويا ايها الذين طمست المادة على بصائرهم . ويا ايها الذين جمدت عن دموع التوبة قلوبهم

ويا ايها الذين شعروا بالحنين الى مناجاة الله . والشوق الى مسالك قربه . والرغبة في تحطيم الاغلال التي تمنعهم من التعرض الى نفحات الدنو . وتقعد بهم عن التحليق في اجواء الفضاء الروحي

ياهؤلاء جميعا . هلموا سراعا الى ادراك الجانب الروحي من منافع الحج . فانه احق الجانبين بالاخذ والاعتبار . واجدرهما بقطع المراحل . وبذل الاموال والاوقات وانه الجانب الخصب الموارد . الدافق الينابيع

هلموا الى اذكاء قوى الايمان الكامنة في نفوسكم . وتحريك الاهتزازات التي اخمدتها تيارات المادة الجارفة . وازاحة الاستار السوداء التي حجبت عنكم الانوار . وقلبت حياتكم الى ظلمات بعضها فوق بعض

هلموا الى ساعات وايام تفرون فيها من دنياكم الصاخبة الاثمة الى ساحات الحق . وعوالم التجلي والسمو . وتستبدلون فيها هذه المطحنة التي تدور بكم حول محور الاثم والهوى . بجاذب نوراني يدور بكم

حول بيت الله الذي تطوف به الملائكة والناس . متخذين منه المحور الاعظم الذي يدور حوله الاسلام ممثلا في امعه واجناسه . ان الله دعاكم الى بيته . واستضافكم في حرمه . ووعدكم بخير الجزاء . وكافأكم بالجنة . وضمن لكم الرحمة والغفران وهيأ لكم المنافع لتشهدوها فهلموا الى المنافع والرحمة والغفران

« واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم »

« وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود »

« الحجاج والعمار وفد الله - ان دعوه اجابهم . وان استغفروه غفر لهم »

هلموا - ايها الناس ملبين مجيبين دعوة ربكم . آتين من كل حدب وصوب متجردين من كل ما يحيط بكم من ثياب وقيود

« ما من ملب يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من هاهنا وهاهنا عن يمينه وشماله »

هلموا لزيارة ارض الحجاز التي في كل شبر منها مجد . وفي كل ذراع تاريخ . والتي تتحيزون من فضائها العظيم . مجالا يفيض بالبطولة والعبقرية والشجاعة والكرامة . ان في ارض الحجاز الحلول الصحيحة لمشاكلكم النفسية والادوية الناجعة لا لامكم العاطفية . والامدادات السخية لما انتم في حاجة اليه من المنح والعطايا والمنن والالاء

وان في ارض الحجاز وسائل الاستئصال الكامل لما تشعرون به

من حرج في النفس . وخيبة في الامل . ومعاكسة في الحظ . وحيرة في البال . واضطراب في التفكير

وان في منازل الوحي الـرهيبة . وبين عراص البيت الحرام . وفوق قنة جبل الرحمة . وفي ظلال ابي قبيس . وفيما بين الصفا والمروة . وعلى عتبة الحجرة النبوية الشريفة . لمجالات فسيحة للاستلهام الروحي . والتطهر من مؤثرات الهوى . والارتباط بمقامـات القرب . والتطلع الى ما وراء المحيط البشري الضيق .

الا وانها لمسافة قصيرة من الزمن تفصلكم عن فراديس الحجاز . ومعالم التنسك . وان كانت تبدو فسيحة في حساب الاذرعة والاميال . انها اثنتا عشرة ساعة تنتقلون خلالها من بيوتكم الى بيت الله او بيت رسوله وتخرجون بعدها من قيود العادة والبيئة والتكاليف الى حرية القنوت والهداية والتجرد .

انزلوا على ارض الحجـاز من جوها المشرق . في هذه البيـوت الطائرة . وكونوا في هويكم الى الارض مصداق دعوة ابيكم ابراهيم .

« ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم »

واحرصوا على ان تكونوا من اولئك الناس الذين حـدث عنهم القرآن .

وان قعدت بكم وسائلكم ففي الجواري المنشئات في البحر . وفي الحافلات الحفيلة متسع لكم . وبين السماء والماء . وفي صميم المفـازات المستجم الكافي لانفسكم . والوقت المناسب لاستعدادكم الذاتي . والمجال

على مقربة من الطائرة في صحبة الرفاق والمودعين

الفسيح لان تفتحوا قلوبكم وتستعدوا مخلصين لمناسككم . وما هي الا ايام قليلة تصلون بعدها الى تخوم الحجاز وتتقدمون من جدة - الى (ام الدود) ومنها الى (حـداء) . (فبحـراء) . (فالمحصـب) فالمسجـد الحرام - فالامن والسلام - والمغفرة والرضوان

وان الثمن لزهيد وغال . ويسير وعسير . وسهل وصعب . وفي متناول الايدي . وبعيد المنال . - انه العزم الصادق . والتصميم الاكيد . والاخلاص في العزم . والجد في التصميم

الله اكبر - والحمد لله -

لقد ذلل الله للانسان اليابسة والبحر والاجواء . وذلل له البعد . فتقاربت الدنيا بالاسلاك وبدونهـا . وفي ضوء النهار . وظلام الليـل . واصبح في امكان المرأة والطفل ان يصليا صبح يومهما ببيتهمـا وعصره بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلـم . وبات الرجل وقد القيت اليـه رسالة اهله بعد ثلاثة ايام من تحريرها

عندما يحيي الحاج ارض الوطن ويستعد لركوب الجو

هلموا . اذن على متون الجو . او ظهور الامواج . او فوق اليابسة فليس ثمة الا الرحلات الممتعة والامكانيات العجيبة . والراحة المكفولة والامن الوفير

ويجب ان نعتقد قبل كل شيء ان المسافر الى الحج عندما يحمل حقائبه . ويتجه الى المحطة او المطار ينزل ستار كثيف يحول بينه وبين ما تركه وراءه من مشاكل ومشاغل . ومن اهل وبنين . وبيوت ومتاجر فلم يعد يفكر في غير الغاية التي اتجه اليها . والمقصد الذي سافر من اجله . وهذه الحيلولة الوقتية بين المسافر وما وراءه هي من اسرار الحج ومن حكم الله العليا . ومن بركات البقاع المقدسة . وقد تستمر ما دام الحاج خارج حدود الوطن ولا تزايله الا بعد ان يصبح قاب قوسين من بيته .

وكما يجب ان نعتقد ان الفتوة التي يبعثها السفر الى الحج في الانسان والحيوية والنشاط والحزم التي تغمره هي كذلك من الخوارق الخارجة عن كل حساب وتقدير .

فلا يزن المرء نفسه بما هو عليه قبل تحركه للسفر . وانما يزن نفسه بما تبعث فيه من قوات كامنة واندفاعات غريبة عن معتاده وحسابه

نعم يجب ان نعتقد ذلك . لان الذي يسافر وهو يردد ما رواه الاوزاعي عن سليمان بن حبيب عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « ثلاثة كلهم ضامن على الله . رجل خرج غازيا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله

الجنة . او يرده بما نال من اجرا وغنيمة. ورجل راح الى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة او يرده بما نال من اجر او غنيمة » ان الذي يردد ذلك لا يملك ان يصيب عزيمته وهن اوخور - واي شيء يخشاه بعد هذا التفضل الالاهي. فهو راجع من سفره اما الى بيته في ضمان الله او ذاهب الى الجنة . واي رواح افضل من الرواح الى مسجد الله وحرم بيته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال داود عليه السلام - : الاهي - ما لعبادك عليك ان هم زاروك في بيتك فان لكل زائر حقا على المزور. قال : يا داود - ان لهم علي ان اعافيهم في الدنيا. واغفر لهم اذا لقيتهم »

لذا فالواجب يدعونا اليوم الى نبذ ما درج عليه الناس من ارجاء السفر الى الحج مع امتلاك الزاد والراحلة حتى يكبر الاولاد. وحتى تبنى الدور. و تزف البنات الى الازواج. وحتى تبيض المفارق والاذقان لان ذلك يعني ان المرجيء يعتبر الحج من الكماليات في الرتبة الاخيرة. او انه من مستلزمات الشيخوخة والتقدم في السن. او انه يعني ان المرجيء قد اخذ عهدا على الله بان يمد في عمره حتى ينجز ما يراه اولى بالاولوية من شئون الدنيا - وذلك تمرد على اوامر الله. وبعد عن الطاعة والامتثال وتعلق بالخسيس من مشاكل الدنيا. وركض وراء سرابها الخلاب وحطامها الفاني .

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول: « اوحى الله الى آدم عليه السلام ان يا آدم حج هذا البيت قبل ان يحدث بك حدث الموت ».

وورد ان الله عز وجل يقول : « ان عبدا اصححت له جسمه. واوسعت عليه في رزقه لا يفد الي في كل خمسة اعوام مرة انه لمحروم »

وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لقد هممت ان ابعث رجالا الى هذه الامصار فلينظروا كل من له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ماهم بمسلمين »

انا والحق يقال . زاهدون في اداء هذا الركن الخامس من اركان الاسلام . متوسعون في تاويل الاستطاعة ما شاء لنا التاويل المستمد من التشهي والهوى

وان كثيرا من الناس ليعتذرون عن القيام بفريضة الحج باعذار اكبر قبحا من تلك . فيجعلون من ارتفاع درجة الحرارة سببا للامتناع من السفر الى الحج

« وقالوا لاتنفروا في الحر . قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون »

ولو قال لهؤلاء اطباؤهم ان حمامات الشمس الصحراوية تذهب عنكم اعراض البرد وتصلب الشرايين وتبخر الحوامض الزائدة عن حاجة اجسامكم لتسابقوا الى شمس الصحراء يتعرضون الى اشعتها المحرقة . ووهجها الشديد . واذا كان ذلك الاستشفاء ضربا من منافع الحج تابعا له . ومتولدا عنه فهم عنه معرضون . ولوسائل التخلص منه ملتمسون . ولو بحث هؤلاء عن الحقيقة لادركوا ان التعرض للشمس مدة الحج لا تستلزمه اقامة المناسك . ولا يضطر الحاج اليه اطلاقا . وان الطواف والسعي

ميسوران في الليل. ورمي الجمرات مشروع الى غروب الشمس. والدعاء في المشعر الحرام مطلوب من الحاج الى حد الاسفار. وان الوقوف بعرفة يتم تحت الخيام وفي ظلها. وان السفر اليوم بوسائله المريحة برا وجوا وبحرا لا يظما فيه المسافر ولا يضحى

والحقيقة - انه ليس قيام الموانع ولا شدة الاحوال الجوية. ولا قلة ذات اليد بالاسباب التي تبرر ارجاء الحج او الخوف من الاتيان به فورا ولكنها الهداية الالاهية. والعزيمة الصادقة. والاندفاع الذاتي

واذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء

جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من اراد الحج فليتعجل . فانه قد يمرض المريض . وتضل الراحلة . وتعرض الحاجة »

وكان يقول : « حجوا قبل ان لا تحجوا »

وقد رايت من شباب الامم الاسلامية الشرقية وعلى راسها الامة الاندنوسية تزاحما على الحج في عهد الفتوة والشباب. ورايت قوافل شبابهم تأتي الى الاراضي المقدسة في عزم الجندي الشجاع . ونسك الشيخ الوقور . ويتسنى للشباب المسلم ان يجمع بين قضاء الفرض . ودراسة العالم الاسلامي من خلال وفوده واجناسه والوانه ومعروضاته ومشترياته ومبيعاته . وتساعده الفتوة العارمة على الاستفادة الى اقصى الحد من مناسبة الحج وايامه فيقيم الندوات . ويدون المذكرات . ويستثمر كل تجمع للبحث والاستقراء . وبعكس ذلك لم تكن اكثرية حجاجنا

التونسيين الا من الشيوخ والعجزة والمرضى فلا تسمح لهم حالتهم الصحية والبدنية الا باداء المناسك على وجه متعب منهك . والاعراض عما سوى ذلك من منافع الحج

والله جل شانه ـ قدم شهود المنافع على الذكر والعبادة قال تعالى :

« ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام » صدق الله وجلت آياته

طريق الفرار إلى الله

هذا طريق الحجاز يفضي اليه فوق اليابسة او على متن الاجواء او على ظهر الامواج وهو الطريق الموصل الى حرم الله وحرم رسوله . وهو السبيل الى الفرار الى الله . والتخلص من المشاكل والضائقات . ذلك هو الطريق الذي يشعر المسافر وهو يخترقه بنسمات الحجاز تهب عليه مثيرة منعشة . وبغمرات الاخلاص والتجرد تغشاه بكرة وعشيا . وبومضات من النور الالاهي تضيء له ما احلو لك واظلم . وبالثلج البارد يغسل قلبه ويمسح عنه الصدأ والقسوة

ان طريق الحجاز وحده هو الطريق الذي يكتسب جلال ما هو ممتد اليه ويهيء سالكه الى تلقي الفيوضات الروحانية . وانه لولا هذه الرياضة النفسية لخر الكثير من الحجاج صعقين بمجرد ان تقع ابصارهم على الكعبة المشرفة في جلالها الرهيب . ومهابتها المريعة . ولسقطوا في اغماء خطير عندما يقال لهم قفوا هنا في باب السلام واستعدوا لمواجهة بيت الله واهتفوا بالتحية والدعاء فانتم في مقام الاستجابة والقرب .

لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة معتمرا وحاجا وتجرد في طريقه من ثيابه وشواغله . وانكشف له الماضي والآتي وعرضت عليه الامم الغابرة . والازمنة العابرة . وسار مع مواكب الرسل والانبياء المتنقلة بين تلك المفاوز والهضاب صوب المسجد الحرام .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررنا بوادي الازرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كاني انظر الى موسى عليه السلام مهبطا واضعا اصبعه في اذنه له جؤار الى الله تعالى بالتلبية مارا بهذا الوادي »

ثم اتينا على ثنية هرشا قريبا من الجحفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاني انظر الى يونس عليه السلام على ناقة حمراء عليه جبة صوف وخطام ناقته خلبة يعني ليفا مارا بهذا الوادي ملبيا »

وقال انس رضي الله عنه : « مر رسول الله عليه وسلم بوادي عسفان وقال : لقد مر به هود وصالح على بكرات حمر خطمها اللفيف ازرهم العباء واردیتهم النمار يحجون البيت العتيق »

وهكذا كان الرسول الاعظم يسير الى البيت العتيق فتردد عليه الجبال صدى التلبية التي كان يجأر بها موسى وتكشف له الارض مواكب اخوانه اولي العزم من الرسل واولي الاسبقية من الانبياء

وهكذا تطوى المسافات من الازمنة والامكنة امامه فلا يتراءى الا المحور الالاهي القائم في الارض تنجذب اليه الا نفس والافئدة المشرقة بنور الله وينعكس عليها النور الاعظم المنبعث من الكعبة الغراء فاذا هي باقية الظل . واضحة الاثر . بارزة الحيز بعد فناء الهياكل . وهلاك الاجسام الطينية البالية

ولم يكن الرسول الاعظم يصف للمسلمين قوافل حجاج البيت من الرسل والانبياء على صورة القصة المروية . او الحوادث الماضية بل

كان يشير الى مشاهد تمر به. ومناظر تعرض عليه . وذلك ما يفسر دخوله في الحالات الروحية المجردة . واتصاله الذاتي بالبيت ووفود البيت من فجر الوجود الى ما شاء الله من دهور وازمنة .

ولما وصل عليه الصلاة والسلام الى مسجد الخيف وقف وقال : « صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا منهم موسى عليه السلام كاني انظر اليه وعليه عباءتان وهو محرم على بعير من ابل شنوءة مخطوم بخطام من ليف له ظفيرتان »

لقد شاهد السبعين نبيا وقد نظر الى موسى على بعيره وساير هودا وصالحا على بكرتهما . وابصر غير هولاء وانكشف له ما وراء الحجب وما وراء الايام .

ويشعر كل مخلص في نسكه . متوجه الى الله بكلياته منفصل عن دائرة نفسه الضيقة باقباس من تلك الانوار المحمدية ورشفات من المناهل القدسية . ويتحيز فضاء ملائكيا يزخر بالايات . ويمور بالخوارق والعجائب

ويمكن للحاج ان يتاجر في سفره الى الحجاز مع الله ومع الناس وكل انواع التجارة تدر عليه الارباح الوفيرة والخيرات الكثيرة وحسبه ان يحسن الاستفادة من الفرص والتعرض للصفقات المضمونة الفائدة . ولا تلهينه الفوائد عن راس المال . ولا حاجة الجسد عن حاجة الروح .

هذه الخواطر التي غمرتني وانا في طريقي الى حرم الله وحرم رسوله وتلك هي الانطباعات الروحية المجردة التي طبعتها رحلتي الاولى . وسفري الاول وعسى ان اتخذها رائدي فيما اقوم به من الرحلات . بمشيئة الله وحوله

ولعل من الاحسان لاخي المسلم ان احدثه عن مماديات السفر ومراحله ومشاهده الى جانب الحديث عن نواحيه الروحية .

احسن وسائل السفر

لا انكر ما للسفر برا وبحرا من الفوائد الجمة والتكاليف المالية الخفيفة والتعرف برفقاء الطريق . ومحطات النزول والراحة . ومع ذلك فاني افضل السفر على متون الجو لان في ذلك ربحا محسوسا للوقت . ورفاهية ممتازة في المقعد والمرافق . وشعورا بالعروج الجثماني الى درجات ارفع ومقامات اعلى . وابتعادا ولو موقتا عن مرابع ومراتع تاهت فيها النفس لاهية عابثة وانطلقت يسيرها الهوى الجامح . وتركض مع خيول الشيطان ومواكبه

لقد سافرت جوا وادركت روحانية السفر الجوي . وسبحت الله كما تسبحه الاطيار المسخرة في جو السماء واعددت نفسي لاخرج من التسبيح والتكبير الى التلبية واستجابة النداء الالاهي الاقدس

وكان كل شيء في تلك القلعة الطائرة يكاد يلهيني عن التسبيح والاستغفار فهذه مضيفة الجو في لطفها . وذكائها الحاد . واخلاصها في عملها وكرم معروضاتها . وسخاء خدماتها التي تقدمها بالطلب او بدونه وتلك المسافرة التي تجاورك في المقعد وقد تباعدت بها المسافات . ونأت عن ناطحات السحاب . وخلقت فيها غريزة التعرف وحب الاطلاع الرغبة الملحة في ان تقبل الحديث معها بلغة من لغات اللسان . وان تعذر الاجتماع في لغة واحدة فبلغة الاشارة والاعين على الاقل او كما قال شاعر الجبل

اذا ما لغات الشفاه اختلفن فما للقلوب سوى واحده

وهذا احد اعوان بيت القيادة يخرج ليرشد الى ظاهرة سماوية غريبة او يحدد المركز والاتجاه ودرجة الارتفاع وقوة الاندفاع. والمسافة الباقية لاقرب محطة آتية . وبين هذا وذاك حصص العشاء . والمشروبات والمرطبات والمدخنات التي تقدم اليك بين الفينة والاخرى .

ثم وتلك المناظر الفاتنة لطبقات السحاب المارة من تحتك . وقنن الجبال المتناثرة هنا وهناك . وحركات الامواج المتدافعة الى الشاطىء والاضواء الخافتة المنبعثة من المنارات والعلامات ومجتمعات القرى والمدن حين يبدولك ذلك من نافذتك الصغيرة عن يمينك او شمالك

وقد تزهد في جميع ذلك لتغيب في عالم التسبيح والتمجيد . وقد تتخذ من كل تلك الحالات مثار التوحيد . والتقديس فتستعرض عظمة ربك في كل شيء . ومع كل شي وتتبرا من النظرة الفاسقة . والاستغراقة الساذجة طاهرا في تفكيرك زكيا في حركات قلبك . مترفعا عن الصغار ومشاغل النفس .

ويمكنك ان تتسلح في سفرك الجوي بالوضوء المتجدد لان بيت الاختلاء في الطائرة يسمح لك بتجديد الوضوء .

واتذكر اني صليت الظهر والعصر في بيتي ونزلنا بعد الغروب بقليل بمطار رومه في ستة عشر من المسافرين المسلمين وفي احدى ساحات المطار الفسيحة النظيفة ارتفع صوت احدنا باذان المغرب ثم قمنا الى الصلاة فكان الكثير منا محتفظا بوضوئه واسرع القليل الى النوافر المنتشرة في اطراف المطار فتوضأ وادرك الصلاة . ووقف الناس من ابناء الملل الاخرى خشوعا لله واحتراما للعبادة وانقطع الحديث وجمدت

الحركة . وكان ناموس الصلاة عم كل نفس وغمر كل ناحية . ورجع كل شيء الى معتاده بعد ان تمت الصلاة ونهض آخر مصل وغادر مجلس صلاته

وما اعذب الجولة . ومشروب الليمون الايطالي المثلج . وزيارة مرافق المطار والمعرض المستمر المنتصب في اروقته الفسيحة بعد ان تقضي الصلاة . وما اشد احترام أعوان خفر الحدود . وشرطة الجو وخدمة المقاهي لهؤلاء المسافرين الذين توجهوا عند نزولهم من السماء الى رب الكائنات يعبدونه ولا يشركون به شيئا .

ونهضنا نطير بعد استراحة طيبة تعرفنا فيها الى صور واضحة من اخلاق الايطاليين ومدنيتهم وبلادهم واتفق ان تكون صلاة العشاء بالتراب اليوناني وعلى تخوم اثينا عاصمة الحكمة والجمال والفلسفة .

واشارت لوحة التعليمات المثبتة قرب باب القيادة الى الاستعداد للنزول بمطار البلاد اليونانية وشددنا بمناطق السلامة صدورنا واندفعت انوار المطار الخضراء والحمراء والزرقاء والبيضاء تهاجم الاعين والمقاعد وتغمر القاعة الفسيحة بمزيج من الالوان .

ودخلنا البهو الاكبر المكسو بالزرابي الاعجمية والمقاعد الوثيرة وفي احدى زواياه اسرعنا بالتاذين واقامة صلاة العشاء وانضم الينا في ابتهاج واغتباط احد المسلمين الهنود واصطف الخدمة والمسافرون الاجانب يتابعون الشعيرة الاسلامية في خشوع وتهيب وبعد الصلاة تلطف رئيس مطعم المطار فعرض مشروبات من القهوة واللبن والمبردات ومعاصير الغلال على حساب ادارة المطعم وتلطف مدير المعرض المستمر

الممثل لجميع نواحي النشاط الصناعي والتجاري لليونان فقدم نماذج من مشمولات المعرض ورضي ان يقبل تقودنا التونسية لان مكتب تحويل العمولة قد اغلق ابوابه آنئذ . ودعانا بعد قليل مضخم الصوت للالتحاق بالطائرة . واتجهنا صوب القاهرة

وكان العناية الالاهية شاءت ان لا تنزل الا في العواصم ذات الامجاد التاريخية والمدنية الباذخة . حماية لشرف المقصد الاسمى الذي نحج اليه وانبأنا ملاحظ بيت القيادة بان الطائرة سترتفع اكثر من المعتاد لتفادي الاصطدام بالجبال الشاهقة . وانها ستمر فوق سماء الاسكندرية وربما ادركتها وهي تحت نقاب من السحاب وكانها الحسناء تخمرت بالنقاب

واستمرت الطائرة في تحليقها ونام اكثر المسافرين الا من ملا قلبه الاستغفار والتقديس والتاهب للحلول بالقاهرة المعزية ومتابعة مجاري النيل وما حوله من حلل سندسية خضراء في امتداد الصحراء المترامية الاطراف .

وبعد ساعتين من طلوع الشمس نطقت الاحرف الحمراء مؤذنة بالتمنطق استعدادا للنزول بمطار القاهرة ، ووزعت علينا مضيفات الطائرة استمارات باللغة العربية تتضمن الارشاد الى اسم الراكب وعمره ومتجهه والجهة التي سافر منها ومدة اقامته بالتراب المصري والغاية من سفره او اقامته . وعدد الطرود التي يحملها في قسيمتين مذيلتين بامضائه واثر ذلك هبطت الطائرة فوق الارض المصرية بسلام وأمن

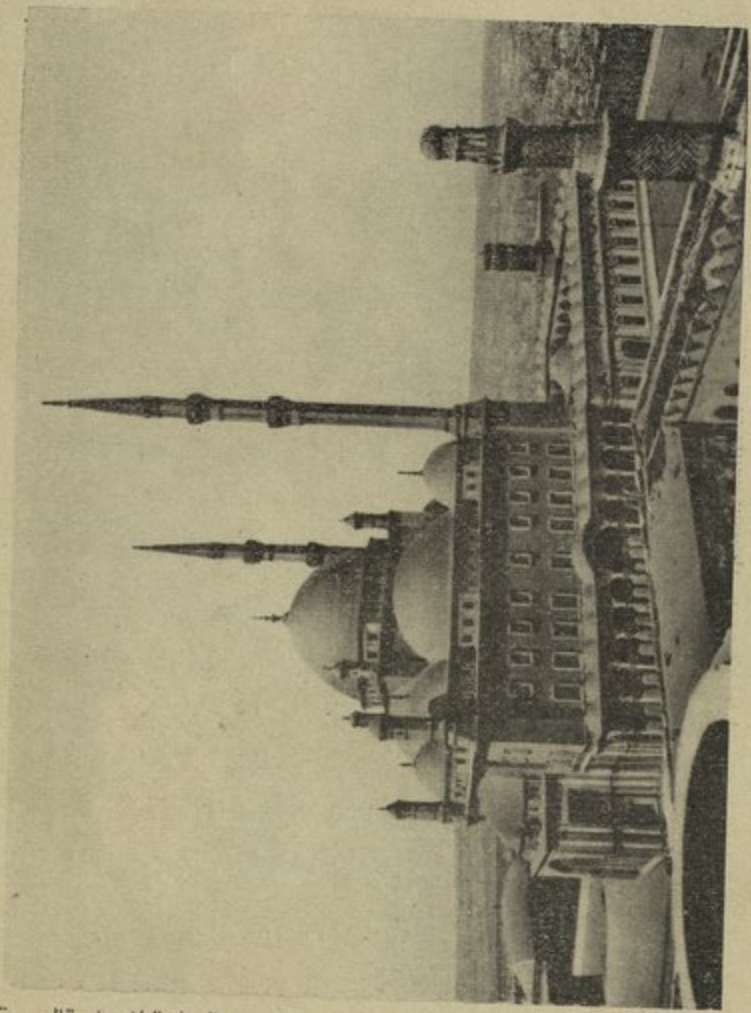

قباب جامع القلعة ءاية المجد الاسلامي بمصر . ورمز العظمة المعمارية العربية

ادخلوا مصر ... آمنين

هذه القاهرة المعزية في يومها الثاني من ايام عيد التحرير ٢٤ جويلية وهذه معالم الزينة واقواس النصر المقامة في كل مكان . والمعارض والاسواق المنتشرة في اطراف العاصمة . وتلك الاهازيج الشعبية التي ترتفع بها الاصوات في كل ناحية . والمواكب السائرة وراء العزف الموسيقي من هنا وهناك . .

والامة المصرية جميعها في افراح شعبية شاملة . والتخفيض الاستثنائي تناول كل شيء - من اثمان الاطعمة الى اجور النقل الى الملاهي والمقاهي وسائر المرافق العامة - والحفاوة بالقادم الغريب عن مصر بلغت حدا لا يوصف - والحرارة لم ترتفع كالمعتاد فتركت للنسيم حرية الاعراب للقادمين عن تحايا الوادي وشواطيه الفسيحة .

اليس في هذا كله ما يغري على اطالة الاقامة في مصر خصوصا وما زال يفصل بيني وبين موسم الحج شهرا لا يوم او يومان ...؟

لقد حسبت ان ذلك ممكن - غير ان شعوري باني اصبحت على مسافة اربعة ساعات من مدينة الرسول الحبيب حول اتجاهي عن القاهرة وصرفني عن مشاركة اهلها في اعيادهم . واوقعني في وحشة وذهول .

نعم . امسيت على مقربة من دار الحبيب . واشتدت الاشواق . وعظم الحنين . وانسكبت الدموع حارة ملتهبة . وطارت النفس مع كل طائرة تتجه صوب المدينة المنورة . فكيف السبيل الى الصبر وزيادة الانتظار

مضى اليوم الاول ـ وتباعدت ساعاته ودقائقه حتى ليخيل انه اطول من المعتاد . وحصل التاكد القطعي بان اول طائرة تطير الى المدينة تسافر من مصر في اليوم الخامس وهو يوم الاربعاء ١٩ ذي القعدة ٣٠ يوليو حيث ان مقاعد الطائرة المسافرة قبل ذلك التاريخ تم حجزها .

وكان لزاما علي ان اقوم بتنفيذ الجزء الاول من برنامج الاقامة في مصر بعد اقتضابه واختصاره

في بيت القائد العام

رايت ان اؤدي قبل كل شيء زيارة الى بيت القائد العام ! ولاتظنوا انه القائد عبد الحكيم عامر ـ ولكنه القائد جوهر مؤسس القاهرة ـ وباني جامعها الازهر

لقد نام القائد التونسي الكبير في مقصورة شمال الجامع الازهر تتصل بمسجد صغير ذي محراب مموه بالمرمر وغشى ضريحه من المهابة والعظمة ما امتزج فيه جلال بيت الله بعظمة المجاهد في سبيله

ووقفت احييه كمواطن ، وادعو له كقائد منتصر ـ واترحم عليه كمجاهد فاتح ، واهتف له كمغامر رائد ربط الصلة بين اطراف القارة الآفريقية

في رحاب الجامع الازهر

بعد اداء تحية الجامع جلست للسلام على هؤلاء المؤمنين الصادقين

الذين نزلوا في ضيافة الله وهم في طريقهم راجلين يؤمون البيت الحرام ومدينة الرسول الاعظم وقد تحلقوا حلقا يعبدون . ويأكلون . ويتذاكرون . ويتدارسون مناسك الحج . وفيهم التونسي . والجزائري والمغربي . والسوداني . والملغاشي . والحبشي . انهم اقبلوا من فجاج الارض . وكبود الصحراء . يلبون دعوة ابيهم ابراهيم « واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

وانهم في حياتهم البسيطة المتقشفة تلك . وفي اعراضهم عن الدنيا وفي اقتحامهم طريق الحج وهم لا يملكون الزاد والراحلة . يمثلون اصدق تمثيل قوة الايمان وتاثيره السحري . وبعثه للعزيمة الفتية في نفوس الشيوخ والعجزة من اتباعه وهم سيستانفون السفر قوافل وجماعات وكل ما يملكونه في ايديهم الشوق المبرح الى حرم الله وحرم رسوله . واسترخاص المشاق والمتاعب في سبيل ذلك

في بيت سيد الشهداء

خرجت من الجامع الازهر . واردت ان اربط الحلقة الثانية في سلسلة التوجه الى الله وتبتديء الحلقة الاولى بزيارة مقام سيدنا عبد الله ابي زمعة بن آدم البلوي شهيد القيروان وحامل شعرات الرسول الاعظم . وتهيبت ان استقبل النور النبوي قبل ان استانس بما تفرع عنه من انوار . وشئت التوجه الى الله من بابه العالي . وانشد بين يدي رسوله وانك باب الله واي امريء اتى من غير بابك لا يدخل

ودخلت مقام سيدنا الحسين فاذا ضريحه الشريف يقع في احد

اجنحة جامعه العظيم ويمثل الضريح مسجدا صغيرا ذا محراب محلى بالمرمر والقيشاني . ويتوسطه القبر محاطا بسياج من النحاس المخرم وقد رصعت حناياه بباقات الرياحين والورود التي يتسابق الزائرون والزائرات لاهدائها للضريح ويتبركون بحمل الباقات الذابلة - والرجوع بها لبيوتهم واطفالهم .

ولاخواتنا المصريين واخواتنا المصريات حب شديد، وتعلق متين بالسبط الكريم . وبمقامه الاحمى . ومظهر ذلك الازدحام الشديد في جميع ساعات النهار على الضريح . وشدة الالتصاق بابوابه وجدرانه .

ووقفت احيي ابن الزهراء سيدة نساء الجنة . ومرت بي في لمحة خاطفة حياة الاسرة النبوية في ظل راعيها الامين . عليه صلوات الله وسلامه . وماكان يضمره من الحب لحفيديه . وكيف كان يؤذيه بكاء الحسين . وكان يقول لفاطمة : « ادعي الي ابني » ... فيشمهما ويضمهما اليه ولا يبرح حتى يضحكهما ويتركهما ضاحكين . وان فاطمة اعتلت وجف لبنها فلم ترضع الحسين. فطلبت من الرسول العظيم مرضعة فلم يجبها وكان ياتيه فيلقمه ابهامه فيمصه . ويجعل الله ابهام رسوله رزقا يغذيه، ففعل ذلك اربعين يوما وليلة . فانبت الله سبحانه وتعالى لحمه من لحم رسول الله »

« وخرج صلى الله عليه وسلم ليلة في احدى صلاتي العشاء . وهو حامل حسنا او حسينا . فوضعه ثم كبر للصلاة فاطال سجدة الصلاة . قال راوي الحديث « فرفعت راسي فاذا الصبي على ظهر رسول الله وهو ساجد . فرجعت الى سجودي فلما قضى الصلاة . قيل يا رسول الله

انك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة اطلت حتى ظننا انه قد حدث امر او انه يوحى اليك . قال : كل ذلك لم يكن ... ولكن ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله »

مر كل ذلك بي . وانا اجأر بالصلاة والتسليم على جد الحسين وعلى آل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعلى اصحابه واتباعه

وخرجت من مقام مولانا الحسين لاتتجه نفسي الا الى جده الاعظم. ولا احط رحلي الا في رحاب حرمه الشريف وانطوت الارض وما عليها من حولي . وبدت لي مباهج مصر . ونيلها الكريم ومجاريه الجميلة . والمتاحف الغنية والمعاهد الكبرى . وديار العلم . والنوادي . وقصور العدالة . وكانها محجوبة عني بستار من الدمع وحجاب من الاشواق

وما عساه ان يشغل المحب في طريق مروره الى دار الحبيب من مغريات . وجواذب ان كان مخلصا في حبه . مستميتا في هواه . واي شيء يسكن ذلك الوجيب الذي يشعر به . والتحرق الذي تتحرك في نفسه الاهيبه .

ثم وهل في وسعي ان ادافع هذا التحول الكلي الذي صرفني عن ذاتي . وما ترتبط به من وشائج وعلائق . وعن المحيط الذي اسبح فيه وما يزخر به من شؤون الحياة . وحاجاتها . وان اغالب خوفي من ان يلد القدر ما يعوقني على الوصول الى مقام الحبيب . وديار الانصار . وميادين الوقائع الكبرى التي شهدت معركة الايمان . والكفر . والمسلمين والمشركين وقد اصبحت على مسيرة اربعة ساعات فقط منها . اذ قد يحدث المرض . او يحين الاجل المحتوم او تضطرب الاوضاع العالمية .

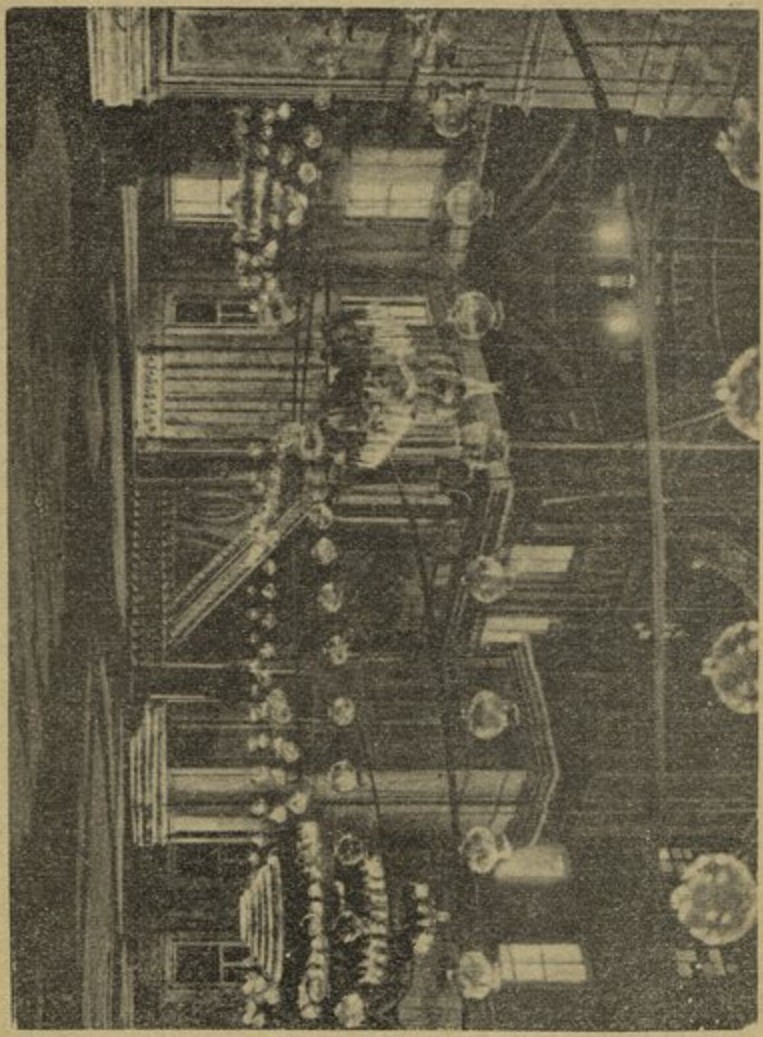

بيت الصلاة بجامع القلعة وقد ظهر المحراب العجيب والمنبر المذهب

هـذه هي الخواطر التي غمرتني . والافـكار التي هيمنت علي . وانا انتقل في ميادين القاهرة . وشوارعها الفسيحة

السفر الى المدينة الشريفة

ها انا اجلس في البهو الاكبر لمطار القاهرة . وقد حجزت مقعدا في احدى طائرات شركة الخطوط السعودية و في انتظار الطائـرة المعينة كانت تهبط الى ارض المطار في كل نصف ساعة طائرة آتية من اطراف العالم . او ذاهبة الى اقاصي الدنيـا . ولا تسمع الا دوي المحركات . وازيز الاجنحة . واشارات النزول او الاقلاع . وفي ذلك البهو تجتمع بالباكستاني . والسوري . والحجازي . واللبناني والمغربي . ويبادلـك الجميع التحايا الحارة في سرعة وحفاوة كبيرتين

اشـارة لطيفـة

وتقدم فجأة للسلام علي ضابط كبير من ضبـاط الجيش السعودي والح في السؤال عن البلاد التونسية . وعرفت انه من اخواتنا التونسيين وله بتونس اهل واقارب ومواطنون . وتلطف فاهدى الي عودا من اعواد الاراك اخرجه من حافظته التي يحملهـا . وقبلت هديته الجليلة شاكرا متاثرا . واطنبت في التنويه بها وجعل الضـابط يتفحص وجهي ليتاكد من حقيقة تاثري وشاهد دموع الفرح تسيل على وجهي واستدرك معتذرا عن هديته المتواضعة . فرددت عليه باني اعتبر ما وفقه الله اليه هو من العنايات المحمدية ذات الاثر البليـغ . وانه سوف اقف لتحيته مستاكا باحب انواع السواك اليه صلى الله عليه وسلم . وانشدته

لا احب السواك من اجـل اني ان اقول السواك . قلت سواك
بل احب الاراك من اجـل اني ان اقـول الاراك . قلت اراك

ولم اكن احسب ان صاحبي يحدوه هو الآخر حنين الى الرسول الاعظم . ويستعجل مثلي ساعة الوقوف باعتابه الشريفة فبكى وبكيت وقبلته مودعا .

وبعد حين دعانا رعاة الشركة الى الدخول لمهبط الطائرات استعدادا للسفر . ودخلنا واخذنا مقاعدنا في طائرة ذات محركين من الطراز الامريكي بقيادة ملاحين سعوديين

فوق سماء مصر

حامت بنا الطائرة فوق التراب المصري . وشواطيء البحر الاحمر ومجاري النيل وفوق صميم الصحراء . وقد اقلعت بنا عند الزوال بتوقيت القاهرة . وتيمنت بهذه المصادفة السعيدة . والتمست منها ان ميقاة السفر يشير ولا شك الى زوال الاثم وطغيان النفس . واسر المعصية . وضلال السبيل والى استقبال ايام الصفاء والتقوى . والطهارة والاشراق .

وفوق شبه جزيرة سينا . وزع علينا طعام الافطار . وفجأة سمعت شابا سوريا يرفع صوته منشدا مدائح نبوية تثير الحنين . وتحرك الاشواق . وتسيل دموع المحبين وكانه انفجر فيه ما ظل مكبوتا من العواطف والاحاسيس . فلم يأبه لطعام الجسد . وشاء ان يطلق الروح من قيودها . ويحول خلجات نفسه المحبة الى اهازيج هاتفة . واناشيد

دامعة . فتجاوبت من حوله الاصوات بالصلاة والسلام على المزور الاعظم . واستعيدت مقاطيعه . وصدور قصائده واعجازها وطغت هذه الموجة الروحانية العتيدة على ازيز المحركات وهزيم الطائرة وهي مرتفة عن البحر بـ ٩٣٥٠ مترا في سرعة ٣٠٠ ميل في الساعة . وقوة ريحها خمسون ميلا في امتداد البصر . وهي تعلو الوهاد والرمال التي لا تحمل من الوان الحياة الا مسالك رقيقة لمساقط مياه المطر . وتشتد في طيرانها كما تطير قلوب ركابها تستبق اصحابها الى حرم رسول الله ومدينته المنورة

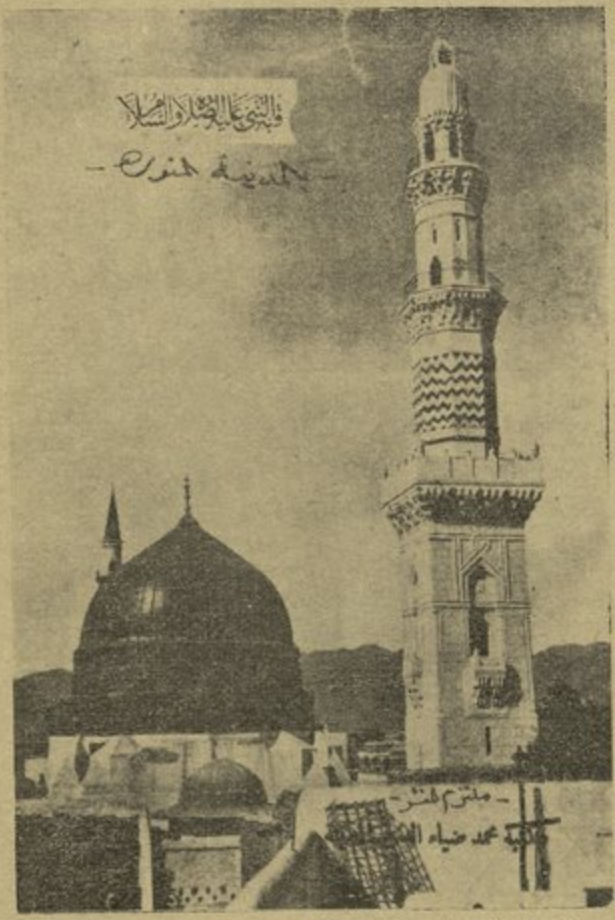

القبه الخضراء والمئذنه كما تبدوان للقادم على المدينه

السلام عليك يا رسول الله

في اجواء المدينة المنورة

ما كاد يعلن ملاحظ بيت القيادة ان الطائرة تستقبل طيبة دار الحبيب المصطفى ومعقل الانصار الذين تبوأوا الدار والايمان من (قبل مجيء المهاجرين اليهم) يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة. ومبعث الغزاة والهداة . وفتاح الممالك وقادة الامم . ودعاة الحرية والحق . ما كاد الملاحظ السعودي يعلنها بشرى . في ركاب طائرته . ويشير الى سواد المدينة وقد امتدت بين لابتيها عرائس النخيل تختضن القبة الخضراء والمئاذن الخمسة ذاهبة في بياضها واشراقها وجلالها الى القضاء النوارني الرحب حتى اهتزت القلوب . واضطربت النفوس وتهللت الاسارير . وتدفقت الدموع . ووقف البعض وسقط البعض على المقاعد . واشرأبت الاعناق . وهتف الجميع قائلين: «السلام عليك يا رسول الله» ثم خشع الكل الى الجلال المحمدي . فبكوا في صمت . وصلوا في همهمة وهمس . وتطلعوا من النوافذ الصغيرة في تهيب واكبار . وانفجرت الاشواق حارة ملتهبة وتجاوب في اطراف الطائرة الرد النبوي الكريم على هذه التحايا المخلصة الصادقة .

وفيما كان جليسي مفتي مدية من البلاد الجزائرية يدعو قائلا :

« اللهم هذا حرم نبيك . فادخلني فيه مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا. اللهم انا عبدك وانت ربي حملتني بفضلك . واوصلتني الى حرم نبيك بنعمتك وامنتني وحفظتني في حركاتي وسكناتي فارجوك ياذا الجلال والاكرام ان تتم نعمتك علي بغفران ذنبي وستر عيبي وكشف كربي فلك الحمد والشكر . السلام عليك يا رسول الله » وفيما كان يدعو بذلك ويبكي فتغسل لحيته البيضاء الدموع الغزيرة. كنت في حالة روحية كاملة باذواقها ومواجيدها . وانكشافاتها ابتهل وادعو واحيي واسلم . وابكي واضحك . وقد حفظت مما ترنمت به نفسي بعض هذا النشيد الذي جرى بين الاوزان والقوافي :

« وعما قليل سوف آتي (محمدا) ويتصل الجسم العليل بروحه
وعما قليل سوف ادخل « طيبة » ويخفق قلب الحب رغم جروحه
وعما قليل سوف احظى وليتني اصور ما اعني بكل وضوحه
واصرخ في باب السلام مناديا دلائل حبي قد اتت بشروحه
أأمسيت حقا ضيف طه وداره وحقق هذا القلب كل طموحه
سلام على طه وازكى تحية من الطائر الميمون حال سبوحه

ويقطع عني هذا النشيد السماوي صوت القيادة يامر بشد المناطق استعدادا للتشرف بملامسة تراب الحجاز على بعد اثني عشر ميلا من حرم رسول الله وبيته الامن وانجدرت الطائرة بعد ذلك تنزل الى الارض وتخفض من صوت محركاتها وتطاطىء هامتها اعظاما للرسول الكريم واجلالا لتراب مدينته المنورة . ويغشى الزوار ذهول اللقاء

القريب فتتسمر اعينهم في النوافذ يتابعون المئادن النبوية والقبة الخضراء في امتدادها الى السماء

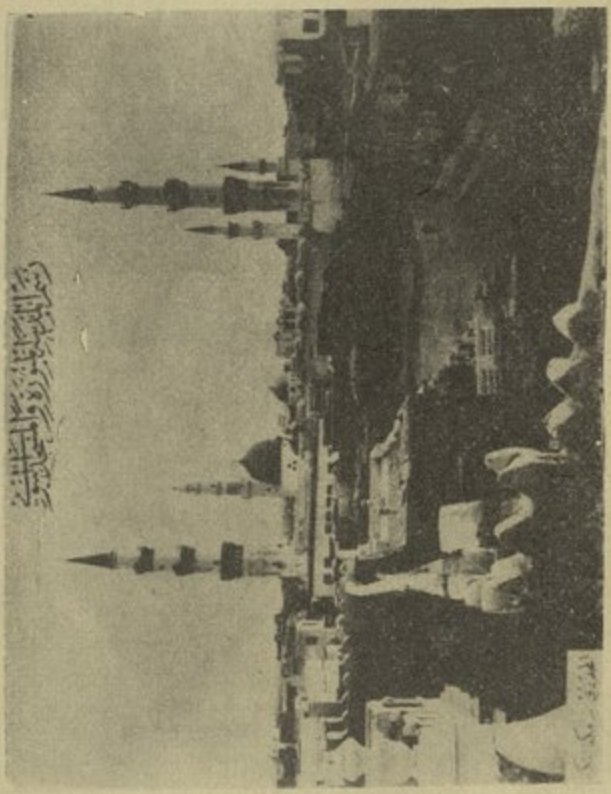

صورة جامعة المدينة المنورة والمسجد النبوي

ثم نزلنا الى الارض . ثم اتجهنا :

يا رباه .. ! كيف يمكن تكييف هذه الاهتزازات العنيفة التي تعتري المسلم عندما يقال له : « هذه مدينة محمد ! »

خضرة في الرمال البيضاء الناعمة وبياض بين عرائس النخيل الباسقة . وجلال تنحني له الجباه . ويرتد الطرف عنه وهو كسير . وسهول تكتنفها جبال تتحدث في صمتها المهيب عن معارك الاسلام وايامه . وعن وقائعه وابطاله . وبقاع لها من اسمائها ومن حوادثها اثر في النفوس . وعرض للماضي المحبوب . وملابسة للتاريخ النبوي . وانطباعات من انوار فجر الاسلام

يجب على الداخل للمدينة الشريفة . ان يكون مستعدا لخوض هذه الاهتزازات العنيفة التي لا تقوى النفوس الاعتيادية على تحملها . واذا خانته عزيمته وانهارت قواه فلا يسعه الا ان يلتجيء للدموع . فهي وحدها التي تنطق بهذا الرجع الذي يتجاوب في اعماقه . وهي وحدها التي تخفف عنه الصدمة الاولى وتمنحه الشجاعة والاستيناس

وفي مطار المدينة ـ يشعر الزائر لاول مرة بشمس الحجاز في حرارتها وفيحها . وقد نزل من جو الطائرة البارد . ورفاهية طقسها المكيف .. ولكنه لا يحس وهو يتطلع الى المدينة بوهج الشمس الحجازية وشدة فيحها

ويتقدم من الزائر خفراء الحدود، ورجال مصلحة الهجرة، والشرطة الجوية. وكلهم من الشباب الحجازي الكريم يقومون بواجبهم في حزم ولطف. وعزة ومجاملة ثم يمتطي عربات النقل الكبرى وتشق طريقها نحو المدينة. وتسير مسامتة لجبل احد الاشم الذي يطوي في ظله الظليل، معارك الايمان والكفر والمسلمين ومردة قريش. وحوله السهل الذي سال بجيوش المسلمين وقوافل الموءن والاقوات.

وما اروع الحصة التي يقضيها القادم على المدينة بين رهبة اللقاء - وشوق الوصول. وهو يسير بين المطار والمدينة

المر تر الى هذا الشاب السوري. الذي عدل في آخر لحظة على السفر الى جده اين تنتظره اعمال تجارية هامة. والغى ورقة سفره بالطائرة واختار ان يذهب معنا لتحية الرسول الاعظم. وها هو يتلو من مفكرته مدائح نبوية تنطق بالعاطفة الاسلامية القوية. والحب النبوي الخالص. وكانه يلعب ما ابرده الدمع من تهيج والتياع. وتشوق وتحرق.

ووقفت السيارة بالمناخة الرحبة. وتدافعت امامها امواج من الخلائق. وظهر لاول مرة العالم الاسلامي ممثلا في مدينة. فهذا التركي. وهذا الهندي وهذا الحبشي. يسيرون الى جانب التونسي. والجزائري. والمغربي. والمصري. وكل في ثوبه الوطني. ويشترك الكل في ارتداء العراقية البيضاء وكانها الشعار الموحد بين هذه الامم المختلفة

وهناك وقفت في ذهول وحيرة. وكانت دقات قلبي ترتفع

وتسارع . وحفت بي عناية مضيفي الاعظم صلى الله عليه وسلم فاحتضنني اخي وصديقي الاستاذ العلامة جار الرسول الكريم الشيخ سيدي احمد التونسي وقادني الى بيته وهناك تطهرت وارتديت احسن الثياب استعداد للدخول على الرسول الحبيب

وما ان سرت في طريقي الى المسجد النبوي حتى وقفت متسائلا : هل اني اوشك ان اقف بين يدي سيد الكائنات وخير الرسل . . ؟ » واعدت السؤال . وكدت ان اغيب عن نفسي . وانفجرت ابكي . فرحا واحتراما . وكان ذلك هو الجواب عن تساؤلي . وشجعني الصديق الوفي على السير . ودخلت المسجدالنبوي من الباب المجيدي حيث يقابلك المسجد في امتداده من الفناء الى البيت . ووقفت في الفناء فوق الحصباء الحمراء متمثلا مصلى الرسول الاعظم والصحب الكرام . وصليت العصر . وقمت خاشعا لله على مقربة من بيت رسوله . اناجيه واقدسه . وما اروع ان يقول المصلي في تشهده « السلام عليك ايها النبيء الكريم ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله » وان يقول ذلك على مسمع من حضرة المسلم عليه انها صلاة لا كالصلوات . وخشوع لا كالذي اعتاده من الخشوع . واستغراق لم يالفه في غير ذلك المكان

واقتضت صلاة العصر . ومربي في عرض خاطف قول بعض المريدين لما دخل المدينة

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام

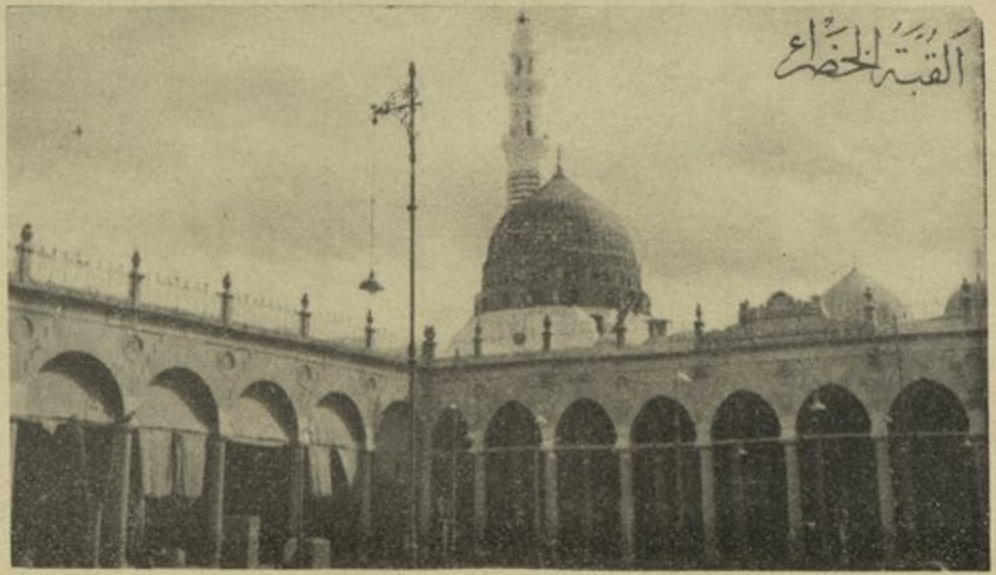

المسجد النبوي كما يبدو للداخل من الجهة الجوفية

قربنا من خير من وطىء الثرى فلها علينا حرمة وذمام

وقول الامام عياض :

« جدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل . وتردد عليها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح . وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح . واشتملت تربتها على جسد سيد البشر . وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر . مدارس آيات . ومساجد صلوات . ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات . ومناسك الدين . ومشاعر المسلمين . ومواقف سيد المرسلين . ومتبوأ خاتم النبيين . حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها . ومواطن طويت فيها الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها . جدير بهذه الارض . ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها . وتقبل ربوعها وجدرانها .

وعلي عهد ان ملات محاجري من تلكم الجدران والعرصات

لا عفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات

مر هذا وغيره بي . وقربت فريضة المغرب . واهتزت النفس تندفع الى الاتصال . . وقامت الرهبة . والرجفة تحد من ذلك الاندفاع . وادرك رفيقي الاستاذ ما ينتابني من احاسيس . فاشار علي بالتريث في المثول بين يدي السيد الاعظم حتى تؤدى فريضة المغرب وحسنا ما اشار به لاني كنت في حاجة الى مزيد من التشجع والاستيناس

وارتفع صوت المؤذن من المئذنة النبوية يكبر الله باذان المغرب في صوت مضخم وخشع الناس للاذان . وارتفع في اثره صوت الامام مضخما كذلك يسمعه القريب والبعيد . . وتراص المسلمون النساء في الجناحين الشرقي والجوفي من الفناء والرجال في كل مكان . واديت فريضة المغرب

صورة الروضة المطهرة والمحراب النبوي الشريف

الى الروضة الشريفة

زال عني بعد اداء الصلاة ما اجده من الخشية والاضطراب . وغمرتني نفحة محمدية كريمة . واحسست بالارتياح والانشراح والقوة. وخطوت مجتازا الصفة المباركة ووصلت الى الروضة . الروضة الشريفة التي هي بقعة من الجنة في الارض وجسر يربط بين عالم الدنيا وعالم ما وراءها . وممر جالت فيه اقدام الرسول خارجا من بيته الى محرابه ومنبره. ووقفت قليلا بين اسطوانة المحراب التي دفن تحتها الجذع الذي حن للرسول . واسطوانة ام المؤمنين عائشة التي كانت تتهجد حولها واسطوانة الوفود التي كان يجلس حولها الرسول لوفود الامم والقبائل . واسطوانة ابي لبابه التي ربط نفسه اليها حتى غفر له . واسطوانة الحرس . وتقدمت من المحراب النبوي وقرات فوقه مكتوبا بالذهب .

« التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين »

وصليت ركعتي التحية . ولجات الى الاستغفار والتوبة واثنيت على الله بما هو اهله وحمدته على ما يسره وما وفق اليه . ورجوت ان اكون من المؤمنين المبشرين الداخلين في قوله تعالى « وبشر المؤمنين » ورفعت راسي بعد اطراق فاذا على باب الروضة المفضي الى المحراب العثماني والى المواجهة الشريفة مكتوب بالذهب

« ان الايمان ليارز الى المدينة . كما تارز الحية الى جحرها »

وعلمت حقا ان ان الايمان هنا . في هذه البقعة المباركة من الارض المملوءة اثما ووزرا . ايمان يشعر به الجالس في الروضة يغمره غمرا . وينبعث من اعماق نفسه قويا جياشا . ايمان يمحو من قلب صاحبه ما عسى ان كان يحمله من قسوة وجفوة وصدإ وتحجر . ويحفظه من وساوس الصدر وبذور الحسد والضغينة والبغضاء . ويرتفع به الى اجواء نورانية لم يكن يعرفها او يحس بها . ويهيبه الى الموقف الاعظم . والمثول الاكرم . ولولا قوة ذلك الايمان . لما قوي المؤمن على الوقوف بين يدي سيد الدنيا . ولما استطاع ان يمشي من الروضة الى المواجهة ويقطع اذرعا تفضي به الى حيث يخاطب النبيء الكريم وصاحبيه . ويحييهم وجها لوجه . ويردد صوته لاول مرة على مسامعهم الشريفة . لولا قوة ذلك الايمان لمات المسلم خشية وخشوعا . ولخر صعقا قبل ان يجرأ على مخاطبة اهل الحجرة الطاهرة . ويتحرك صوته بالتحية والسلام .

وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ

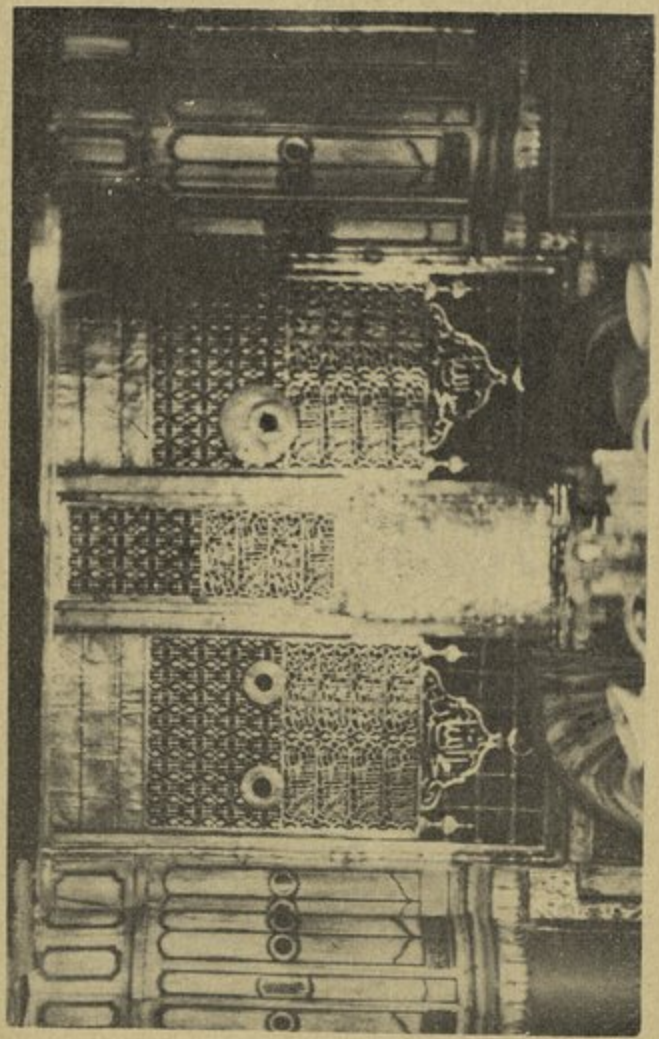

الواجهة : من وراء هذا الشباك مرقد رسول الله وصاحبيه الجليلين

المواجهة الشريفة

موقف المواجهة

ان الساعي من الروضة المطهرة الى الجناح الشرقي القبلي من المسجد النبوي حيث يتحول عن اتجاه القبلة الى الاتجاه الجوفي. ويواجه البيت النبوي الذي يحتضن سيد الانبياء والمرسلين وصاحبيه الشيخين الجليلين يشعر برهبة وخشوع وغيبوبة وتجرد . ويغمره من التهيب والخشية ما يربو عن الوصف ويرتفع عن درجة التصوير . واذا اقترب رويدا رويدا من الدائرة الكبرى التي تحدد موقع القبر النبوي . واعتقد انه اصبح على مسافة اذرع قليلة من المثوى العظيم وانه تحيز الفضاء الذي يسمع فيه حفيف اجنحة الملائكة وتحفه الرحمات وتغشاه الارواح في مواكبها النورانية. فاذا اقترب واعتقد ذلك سكن لسانه عن الحركة . وانكسر بصره عن النظر . ولا يكاد يقول « يا رسول الله ... » حتى تتعطل لغة الخطاب . وينطلق القلب من قيوده متحديا وسائل الافصاح . وتنهمر الدموع مسلمة داعية. ويبدأ التجاوب بين الزائر المحب . والمزور الاعظم المحبوب . وترتسم انفعالات الاشعاع النوري وترتفع الحجب . وتتفتح ابواب الاتصال . وتختلف الانعكاسات الروحية باختلاف الذوات والامزجة. والتهيء والاستعداد.

وليس من السهل ان يخرج الصوت الانساني في المقام الذي يقول عنه القرآن.

« يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبيء ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض »

وليس من اليسير - ان تنتظم حركات الزائر ، ويستطيع ضبط اتجاهاته واندفاعه، ويخرج من استغراقه ووجومه ويتم الارتباط بينه وبين ما وراء العتبة الشريفة . الا اذا مسه قبس من النور المحمدي ، وادركته نفحة من الاشفاق النبوي فهذا يقف غائبا عن محيط نفسه مستغرقا في ادراكاته الغير المنظورة.

وهذا يقف وقد اجهش في البكاء واستسلم الى العبرات وانقطع عن ذاته وهذا يقف متمتعا ببعض الاطمئنان الروحي فيسلم على الرسول الاكرم ، ويثني عليه بما وجب لذاته الكريمة من المحامد ، ويصلي عليه استجابة لامر الله ويستغفر لنفسه ولعموم المسلمين ليحقق له الغفران الموعود به في قوله تعالى « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لو جدوا الله توابا رحيما » ثم يسال لسيدنا الرسول المقام المحمود والدرجة الرفيعة، ويخطو في نفس الاتجاه الى الشرق خطوتين يكون بعدهما امام الدائرة المحددة لموقع قبر الصاحب ابي بكر فيسلم عليه ويحييه، ويذكره بمواقفه في الاسلام وصلته بصاحبه في الغار ، ثم يتحول قليلا في نفس الاتجاه ويكون امام دائرة قبر الفاروق فيحييه ويسلم عليه ويذكره بخير ما حفظه له المسلمون من المواقف، ثم يسلم على اهل الحجرة جميعا ويمضي الى منزل الوحي في الزاوية الشرقية القبلية ويدعو بما يرى ان يكون مقبولا من الابتهالات والحق ان وقوف المسلم بين يدي سيدنا ومولانا الرسول الاكرم.

في مسجده الطاهر ومدينته المنورة ـ لا يماثله في الروعة والجلال وقوفه امام عروش الملوك . وابواب السلاطين والعظماء . وانى للاقلام ان تسجل قليلا مما يوحيه الموقف من خلجات واهتزازات . وانى للتعبير ان يؤدي ما يمر بالواقف من غمرات ونفحات . وحسبك ان تعلم ان كثيرا من المسلمين المحبين يقعون امام الاعتاب النبوية موتى . ويفوزون بالكشف الاكبر . والدنو المباشر . ويتخلون عن الحياة الجسدية التي اعياهم امرها . ويدخلون في طي الامتزاج الكلي والقرب الكامل . وتنتصر ارواحهم فترفعهم الاكف من هناك تملا ثغورهم ابتسامة الفوز . وينم عنهم اريج العطر والريحان . واولئك هم الذين هياتهم الاتصالات السابقة رغم تباعد الذوات . وطغى عليهم الحنين . رغم طول المسافات . وانقطعوا عن شواغلهم وحاجات انفسهم . وتعلقوا بالذات المحمدية . وانفصلوا عما عداها فلما لاح لهم النور في مصادر اشراقه . ومبعث انطلاقه . انهارت قواهم المادية والتقت الارواح . وحصلت الافراح . وبان سر القبول ولاح .

ثم وهناك ـ لا يستطيع الواقف امام الرسول الكريم ان يكون انانيا في دعائه . ولا يقدر ان يخصص نفسه واهل بيته الاقربين برجاء يرجوه . او خير يطلبه . فهو مضطر لتعميم الدعاء . وادخال جميع المسلمين في كل ما يدعو به ويتمناه . لان وسيلته العظمى علمه مبادي الايثار عن النفس . وارشده الى فضيلة التضامن الاسلامي . والاخاء المحمدي . فلم يكن له ان يتجرأ بين يديه على محبة شيء لنفسه دون اخيه المسلم .

على اني ادركت والحمد لله . كثيرات من النساء المسلمات يسالن الله متوسلات باحب الناس اليه ان يغفر للمسلمين والمسلمات . ويصلح امورهم . ويسدد خطاهم ثم يمضين بعد ذلك لا يذكرن امرا من امورهن . ولا يلتمسن خيرا يهم انفسهن وادركت شيوخا آتين من اقاصي الدنيا يقتصر دعاؤهم على ان يقولو « يا رسول الله ادرك امتك . يارسول الله من لامتك . يا رسول لله استغفر ربك لامتك » ثم لايزيدون شيئا عن ذلك .

وتاكدت ان هؤلاء الداعين قد صهرت نفوسهم مبادي الاسلام الخالدة فذابوا في الكل الاسلامي . وتخلصوا من مرض حب الذات . وتمثلت فيهم الوحدة بجميع مظاهرها والوانها

وهكذا تبرز هاته القيم النفسية الغالية في موقف المواجهة . ويستعرض الانسان مثلا كريمة من التربية المحمدية الرفيعة على عتبة بيته وفي مسجده وحرمه وما ابدع ما يصفه الامام شرف الدين البصيري اذ يقول :

« وجسوم » كانما رحضتها ... من عظيم المهابة الرحضاء
ودموع كانما ارسلتها ... من جفون سحابة وطفاء
فحططنا الرحال حيث يحط الوز ... ر عنا وترفع الحوجاء
وقرأنا السلام اكرم خلق الله ... من حيث يسمع الاقراء
وذهلنا عن اللقاء وكم اذ ... هل صبا من الحبيب لقاء
ووجمنا من المهابة حتى ... لا كلام منا ولا ايماء
ورجعنا وللقلوب التفاتا ... ت اليه وللجسوم انحناء »

نعم ـ هذا ما خامرني ـ وانا اتقدم للوقوف بين يدي سيدنا ومولانا الرسول الاعظم ـ ولا ادري كيف تقدمت قيد ذراعين من الحجرة الشريفة . لاني كنت في ذهول مطلق . وقد الجمني الموقف الرهيب فاخذ المزور الكريم يلقنني في صوت خاشع رقيق التحية قائلا :

« السلام عليك ايها السيد الكريم . والرسول العظيم . والرؤوف الرحيم . ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا نبي الله . السلام عليك يا صفوة خلق الله . السلام عليك يا حبيب الله . اشهد ان لا اله الا الله . وحده لا شريك له . وانك عبده ورسوله . واشهد انك بلغت الرسالة . وادیت الامانة . ونصحت الامة . وجاهدت في سبيل الله . فصلى عليك الله صلاة دائمة الى يوم الدين . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . اللهم آته الوسيلة . والفضيلة . والدرجة الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته انك لا تخلف الميعاد »

وكنت اردد اقواله وادخل في الاطمئنان . وسلمت على الشيخين . ووقفت في مهبط الوحي . ثم ودعت مزوري ورجعت الى الحبيب الشفيع وخاطبته بلغة الدمع ما شاء الله ان اخاطب ثم انطلقت الجوارح كلها تحيي وتسلم وتشكو وتتوسل . وخلص التوجه . وكمل الاتصال . وفاض الانس . واستغرقت في المناجات حتى لم اعد اشعر بما حولي . ومن حولي . وما يحيط بي من زمان ومكان . وفجاة ادركت ان الواجب يدعوني لتخلية موقفي ايثارا لسواي من الزوار المتقاطرين على الحجرة جموعا وفرادى . رجالا ونساء صغارا وكبارا . فانسحبت الى الروضة الشريفة وجلست لتلاوة آي الكتاب ووقفت عند الآية الواحدة اتلوها

واعيدها . واتهيب ان يسمعها رسول الله على غير ما يحب ان تكون في آدائها . وادبها وتدبر معناها . وهي تتلى على مسمع منه . وفي المكان الذي هبط بها جبريل من عند الله تعالى ورددها فيه الرسول واصحابه وانتشرت لاول مرة من اللوح المحفوظ الى جبريل الى النبيء العظيم الى اسماع الدنيا . وافواه الرجال

ثم انتهي من التلاوة والتفت عن يساري فانظر الى اسطوانة الحرس وكاني ارى حولها محمد بن مسلمة . وعباد بن بشر . وسعد بن معاذ . والزبير بن العوام يتناوبون حراسة الحجرة الشريفة ـ واجول ببصري حول الحجرة نفسها فارى مقاعد خدمة الرسول صلى الله عليه وعليهم امثال انس بن مالك . وعبد الله ابن مسعود . وعقبة بن عامر الجهني . واسلع بن شريك . وسعد مولى ابى بكر . وابي ذر الغفاري . وايمن بن عبيد . هذا يمسك النعل الشريف وذاك يعد الدابة الذلول . والآخر يهيء الراحلة . والجميع يتسابقون لخدمة السيد العظيم

ويرتفع صوت المؤذن فوق المئذنة النبوية يعلن دخول وقت العشاء فيتردد في رحاب المسجد صوت بلال وصوت عمر بن ام مكتوم يؤذنان في المسلمين الاولين فتخشع لاصواتهما قلوب المؤمنين وتنتظم الصفوف للصلاة بامامة سيد الاولين والآخرين

وانها لذكريات حبيبة لكل النفوس عزيزة على جميع القلوب . يستعرضها المسلم في روعة وجلال . وتنتقل به من محيط نفسه . ودائرة ذاته الى الماضي المجيد . والحاضر المؤثر . وتغيبه عن دنياه المضطربة الجازعة . وشواغله الوضيعة اليائسة

ثم تقام صلاة العشاء وتنزل على المصلين سكينة الخشوع فلا تسمع الا دقات القلوب . وقراءة الامام يجأربها في محراب سيدنا عثمان وتنشرها على الناس داخل المسجد وخارجه مضخمات الصوت القائمة في كل مكان

وتنتهي الصلاة وركعات السنة . ويتزاحم الجميع على الحجرة الشريفة ليودعوا صاحبها ورفيقيه عليه وعليهما الصلاة والسلام . ويتجدد الحنين وتتهمر العبرات ثم يمر الزائرون على الصفة ليسلموا على خدمة المسجد الذين كرسوا حياتهم لخدمة الاعتاب المحمدية ويتسابقون لتقبيل ايديهم والتماس دعواتهم متغلبين على زهدهم وتواضعهم ولطف طباعهم وهم في بشرتهم السوداء واثوابهم البيضاء كانهم الامراء والسادة الكبراء وذوو الجاه الرفيع

وهكذا قضيت المساء الاول من امسية المدينة المنورة . والهاني الجانب الروحي عن دراسة الجوانب الاخرى والتامل مما يحويه المسجد النبوي من آيات الفن المعماري البديع . وروائع الزخارف الذهبية النادرة والكتابات التي اوحاها الذوق التركي الرائع . والزرابي الاعجمية المبثوثة فوق الاحجار المرمرية المختلفة الالوان . وعن الاجتماع بمن يضمهم المسجد من سادة العالم الاسلامي واشراف المدينة . واعيان الزوار .

وخرجنا الى اسواق المدينة التي تغمرها الاضواء . وتتكدس فيها البضائع المستوردة من اطراف العالم . وتزخر بمئات الالاف من الزائرين واهل البلاد ورغم ان ميقاة الحج لم يقترب فان الحشد كان رهيبا وعدد الوافدين على المدينة قبل الحج يزيد على الخمسين الف في ذلك اليوم حسبما علمته من رئيس مصلحة الهجرة

والى اللقاء في صلاة الصبح بالمسجد النبوي

في حرم الرسول

هزيمة النوم

كن واثقا ما دمت مقيما بالمدينة المنورة من الانتصار على النوم - وعلى كل حاجات الجسد - فلا تشعر بالاعياء ولا بالجوع - ولا بالعطش - ولا بالحاجة الى النوم واذا ارتفع صوت مؤذن الفجر من مئذنة المسجد النبوي انتفضت من فراشك وتوضأت وسعيت الى المسجد - وكلما بكرت بالسعي وجدت المصلين قد سبقوك . واستغرقوا في النوافل . وقراءة القرآن « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » . وتعب على الجالسين فوق حصباء الفناء الرحب نسمات الفجر تودع المقبلين على شمس النهار وتبعث في انفسهم الحيوية والنشاط . وهناك في الفناء تشهد هزيمة الظلام امام النور . وظهور الصباح وادبار الليل . وترى المسلمين في خشوع المصلي المستغرق في مناجاته . وغبطة المنتصر على قوات الشر ومنازع النفس . استقبلوا القبلة متحلقين حول قراء القرآن من مصريين وشاميين وعراقيين تتجاوب اصواتهم بين عرصات المسجد . وتدرك ما لصوت مؤذن المسجد من السحر والقوة والجاذبية فهو يخترق الحواجز والفواصل . ويستحث العزائم مهما وهنت ويقهر النوم مهما اشتدت الحاجة اليه

ويقف الامام لصلاة الفجر . ويقرا الفاتحة وسورة والنازعات .

فلا تسمع الا الانفاس تمازجها العبرات ووقع الايات البينات في الافئدة والقلوب

وما اروع الموقف الـذي يقفه مصلي الفجر في المسجد النبوي . وما اقصر حصة الصلاة مهما طالت . وما اجمل قراءة الامام . ومن ورائه ما يزيد عن المائة الف مصلي كلهم يؤمنون على قراءته بصوت واحد ينتشر دويه بين لابتي المدينة في خشوع وجلال .

وتنقضي الصلاة ويتسارع المصلون جميعا لتحية الرسول الاعظم في وقت واحد . ويغشاهم العبير الذي لا طيب يعدله . ولا عطر يماثله . وترجع من موقف التحية وانت موقن بـان المزور الكريم رد على تحيتك بخير منها

وينتشر الفجر كما تنتشر الامال الصادقة في قلوب المؤمنين . وكما تمحو انوار القبول ظلمة الحيرة والاثم من الصدور

ويخرج الناس . ويبقى الكثيرون معتكفين في المسجد

في مكتب الحرم النبوي

خرجت من المسجد للتامل من الاشغال الجارية على قدم وساق في الجانب الغربي من الحرم . وادبت زيارة الى مكتب الحرم وهو يقع في البناية التي كانت مستعملة خزينة للدولة العثمانية . وقد اقيمت على النمط التركي . وتشتمل على عدة اقسام ومرافق . ويشتغل فيها خمسة واربعون موظفا يعملون باخلاص نادر . وبراعة فذة . وانقطاع لا نظير له

والمكتب يقوم باعمال العمارة العامة لكل اشغال المدينة . ويمثل فرع وزارة الاشغال العمومية . ويشرف على الناحية الفنية منه مهندسون اتراك ومصريون وحجازيون وسوريون

ويشتمل المكتب على ستة مصالح

اولا ـ مصلحة الادارة . وعلى راسها السري الامجد . المسلم الاصلح . الحازم الشهم الشيخ سيدي صالح قزاز الذي هو مستودع ثقة السلطات العليا وجلالة الملك والمفوض المنتدب لمشاريع المدينة . والعامل على بعث الازدهار والعمران في اطراف المدينة . وصاحب الفضل الاول في مد الجسور الضخمة وتعبيد الطرقات (والآن يشرف على توسعة الحرم المكي)

ثانيا ـ مصلحة التحرير والانشاء

ثالثا ـ مصلحة المحاسبة ويقوم بها اربعة من المتوظفين

رابعا ـ مصلحة المستودعات ويقوم بها خمسة من المتوظفين

خامسا ـ مصلحة المهندسين ويقوم بها ثمانية من اعيان المهندسين ذوي الاختصاص

سادسا ـ مصلحة الصندوق ويقوم بها اربعة من المتوظفين

توسعة الحرم النبوي

افادرئيس المكتب ان مساحة الحرم النبوي الحالية تبلغ ١٥٤٥٩ مترا

وان التوسعة المقررة تبلغ ٨٢٢٧ مترا

وانه قد بدىء بتوسعة الجناح الغربي ثم شرع في الجناح الجوفي . ثم الجناح الشرقي وتتمثل مجموع الزيادات التي اذن بها جلالة الملك ابن السعود على نفقته الخاصة في احداث حصوة ثانية يتوسطها جناح يربط بين الجناحين الشرقي والغربي واقامة باب مماثل في الوضع للباب المجيدي وقد اطلق عليه اسم جلالة الملك الراحل فسمي بالباب العزيزي . كما اطلق على

الباب الجوفي الموجود الان اسم السلطان التركي عبد المجيد فسمي بالباب المجيدي .

وتشمل التوسعة احداث ثلاثة ابواب في الجناح الغربي وثلاثة اخرى في الجناح الشرقي فيصبح الفناء ذا ثمانية ابواب . مع احداث باب جديد ما بين باب الرحمة وباب السلام في موضع خوخة ابي بكر دون ان يزال موقع الخوخة الصديقية

والتوسعة الغربية التي شرع فيها تحتوى على ٢٢٤ اسطوانة وسيصبح مسطح الفناء بعدالزيادة ١٢٣٧٠ مترا مربعا . منها المباني الغير المكشوفة ٨٤١٢ مترا

وتقرر ان يكون مصلى السيدات في مؤخرة المسجد بين الباب العزيزي . والباب المجيدي .

ومجموع الزيادة الغربية ستة امتار من باب الرحمة في طول ٦٥ مترا .

ومن باب النساء في الناحية الشرقية يبتديء الضلع المزاد بستة امتار ايضا ويبلغ في استقامته نحو الجوف ثمانية عشر مترا

وفي الناحية الشمالية تبلغ المساحة المزادة ثلاثين مترا

ولتنفيذ هذا المشروع العتيد اشترت الحكومة جميع المباني المتصلة بالمسجد باثمان مرتفعة جعلت اصحابها يسرعون في عرض مبانيهم للشراء وتم هدم المباني القائمة في الجانب الغربي وفي الجانب الجوفي - وظهر لاول مرة المسجد النبوي في جلاله ومهابته منفصلا عما كان يتصل به من المساكن والدكاكين والاسواق وبالغ العملة ورؤساء الاشغال والفنيون في

الاخلاص لواجبهم . وملازمة جانب الادب اثناء العمل احتراما لمقام الرسول الاكرم ومسجده الحرام

وانفتح لاهل المدينة باب للاسترزاق اقبلوا على الدخول منه واغناهم ذلك عن البطالة وسؤال الناس . واغدقت الحكومة عليهم بالاجور الرفيعة والوفاء الحيني مع حسن المجاملة . ولطف المعاملة .

وقد شرفني مدير المكتب بالحضور بعد صلاة العصر لدفع اجور العملة فكان العامل يلاقي من لدن هيئة التوزيع البشر والموءانسة والتشجيع والشكر وينصرف مصليا على النبيء صلى الله عليه وسلم وكانه كان في عبادة وفرغ منها ليعود الى بيته واهله

اما حزم المقاول السيد بلادن الحضرمي فيجب التنويه به . لانه تخصص في الاشغال المعمارية . وجهز ميادينه بالادوات الاميركية الجبارة . والعربات الثقيلة التي تسير في قطار يمتد من ثغر الينبع الى قلب المدينة . وتنقل الحديد والاسمنت والطوب المصهور . وله في كل جهات الحجاز ميادين تفوق في تنظيمها وبراعة اشغالها . وتفنن رجالها جميع ميادين الشرق والغرب

والحق ان مشروع توسعة المسجد النبوي من المشاريع التي ترفع من شأن الحكومة السعودية . وتسجل في تاريخها امجد الصفحات والمعها . وقد رفضت ان يساهمها العالم الاسلامي باي قسط من تكاليف البناء والتجهيز . وبذلك اقامت الحجة على ان الوضعية في البلاد الحجازية قد تطورت عن ذي قبل . واصبحت موارد الدولة . وتنظيم ماليتها يسمحان لها بمسايرة حاجيات البلاد في جميع الميادين .

ولادراك اهمية التوسعة يجبان نشير الى المساحة الاصلية للمسجد النبوي فشكله شبه مستطيل ومتوسط طوله من الشمال الى الجنوب ١١٦ مترا وعرضه من الجهة الجنوبية ٨٦ مترا . ومن الجهة الشمالية ٦٦ مترا وبه ما يقرب من ٣٢٧ اسطوانة بعضها ملتصق بالجدران . ومنها ٢٢ اسطوانة داخل المقصورة الشريفة، وجميع الاسطوانات تحمل اقواسا بينها . نصبت عليها قباب فخمة نقشت بماء الذهب . وزخرفت بالنقوش البديعة وعلى الجدران خطت الآيات والاحاديث واسماء الرسول

والابواب الحالية للمسجد خمسة . وهي (باب السلام) و (باب الرحمة) و (باب جبريل) و (باب النساء) و (الباب المجيدي)

والتوسعة الحالية سبقتها توسعة (١) سيدنا عمر . (٢) وتوسعة سيدنا عثمان . (٣) وتوسعة الوليد بن عبد الملك . (٤) وتوسعة المهدي العباسي . (٥) وتوسعة السلطان عبد المجيد . فهي التوسعة السادسة . وهي اعظمها شأنا واكبرها مساحة وجميع التوسعات لم تتناول الحجرة الشريفة ولم تغير من وضعيتها شيئا لانها تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد . وبها المكان الذي دفن فيه النبي صلى الله عليه وسلم . وبجواره مقصورة السيدة فاطمة رضي الله عنها ويحيط بالحجرة شبكة من النحاس الاصفر في ارتفاع يعلو سطح الحرم وضلع هذه الشبكة القبلي مكتوب عليه بالخط الشرقي الجميل « لا اله الا الله الملك الحق المبين . محمد رسول الله صادق الوعد الامين »

وطول الحجرة النبوية ١٧ مترا . عرضها ١٥ مترا . وطول مقصورة السيدة فاطمة ١٤ مترا . وعرضها ٧ امتار .

وتشتمل الحجرة على قبري الشيخين ابى بكر وعمر

فسيدنا النبيء صلى الله عليه وسلم الى الجنوب . وراسه الشريف الى الجهة الغربية ووجهه الكريم الى القبلة ويليه ابوبكر وسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه خلف سيدنا ابي بكر وراسه تجاه منكبيه . ويحيط بالثلاثة بناء محكم نزل باساسه الى منابع الماء ثم صب الرصاص في دائره حتى صار من المناعة والحصانة بحيث لا تتطرقه الايدي . وبين هذا البناء والشبكة النحاسية ممشى متوسط سعته ثلاثة امتار ويمتد من جهاتها الثلاثة الشرقية . والقبلية والغربية .

وللحجرة باب غربي في الروضة يسمى باب الوفود او باب الرحمة وفي جنوبه شباك التوبة . ولها باب آخر في الجهة الجنوبية . والدخول اليها من بابين في الجهة الشرقية . والجهة الشمالية . وبزوايا الحجرة اربعة اعمدة تحمل القبة الخضراء .

الروضة الشريفة

والروضة الشريفة . موقعها بين الحجرة الشريفة والمنبر . وهي على شكل مستطيل طولها الممتد من الشرق الى الغرب ٢٢ مترا وعرضها ١٥ مترا ويحدها من الجنوب حاجز من النحاس الاصفر على ارتفاع ذراعين به بابان عن يمين ويسار المحراب النبوي . وفي جهتها الغربية القبلية المنبر . وهو من الرخام الموشى بالذهب الخالص وضع موضع منبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتمتاز الروضة بان اعمدتها حليت بالرخام في ارتفاع ثلاثة اذرع .

هذا هو ثالث المساجد الاسلامية في الارض - واعظم مزارات المسلمين في الدنيا .

وهو الذي يقول عنه الرسول الاعظم فيما يرويه عنه البيهقي عن حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه « من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي ومن مات باحد الحرمين بعث من الامنين »

ويقول عنه فيما يرويه انس رضي الله عنه - « من زارني بالمدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة »

ومن اجل هذه المكانة السامية اشار العلماء الى ان المستحسن ان يقول الداعي في خاتمة دعائه « الحمد لله . حمدا يوافي نعمه . ويكافيء كرمه . استغفره من ذنوبي كلها ما علمت منها وما لم اعلم اللهم لك الحمد ملء السماوات وملء الارض . وكما تحب وترضى . اللهم كما منت علي بالتواجد في حرم رسولك ومهبط وحيك . فامنن علي بحسن الادب بين يدي هذا النبي الكريم . واجعله مقبلا علي راضيا عني . واجعلني من اهل شفاعته . واقر عيني برضاك ورضاه . يا ارحم الراحمين اللهم - لا تجعل هذا آخر العهد بقبر نبينا عليه الصلاة والسلام وارزقنا العود اليه يا ذا الجلال والاكرام » (١)

---

(١) انظر زيادة الايضاح عن مشروع التوسعة في غير هذا المكان

في مدينة رسول الله

النهضة العلمية بالمدينة المنورة

الكلية الاسلامية الجامعة

في اواخر العهد التركي وفق الله جماعة ينتسبون الى مختلف الاقطار الاسلامية بزعامة الاستاذ المجاهد عبد العزيز جاويش رحمه الله الى الشروع في بناء جامعة اسلامية للمدينة المطهرة تضاهي اكبر الجامعات الاسلامية واكتتبوا لنفقاتها بمال كثير - واقاموا تصميم البناء على احكم نمط وابدع طراز وتخيروا لها فضاء فسيحا على مقربة من بناية سكة الحديد الحجازية الفخمة - وارتفع البناء - وقبل ان يتم وضع السقوف الاولى للبناية ذات الطوابق العديدة وقع الانقلاب الحجازي فتوقفت اعمال البناء وتنوسي امر المشروع العتيد . الى ان بعث الله في نفس العاهل السعودي الامير سعود قبل ان يرتقي الى عرش الحجاز اريحية كريمة - وحمية مشكورة - فاستاذن من والده في اتمام بناء الكلية الجامعة - وما كاد يصدر الاذن المطاع بذلك - حتى اقبل عدد من المهندسين المصريين - واعيدت التصميمات - متمشية مع قواعد المعمار الاصلي - وانتشر مئات العملة - وتكدست قناطير الاسمنت وقضبان الحديد - وتم تسقيف الطابق الارضي جميعه وشرع في اقامة الطوابق الاخرى - ويشرف ملك اليوم - وولي عهد الامس على اطوار البناء بنفسه . ويغدق الاموال ويستنهض الهمم للاسراع

باتمام البناء والتجهيز ـ وفي عزمه ان يستجلب العلماء ورجال الاختصاص من جميع العواصم الاسلامية لتقوم الكلية الاسلامية الجامعة بدورها العلمي بما يتناسب مع نسبتها لمدينة الرسول التي انتشرت منها انوار الهداية فعمت العالم باسره ـ وخرج منها الهداة الاولون اساتذة الدنيا ، وقادة الراي ـ ورسل الرقي البشري ـ

معاهد المدينة

تنقسم المعاهد العلمية بالمدينة الى قسمين قسم المعاهد الحكومية ـ وتشتمل على : المدرسة الثنوية والمدرسة المنصورية والمعهد العلمي والمدرسة الناصرية ومدرسة النجاح ومدرسة القرآن والمدرسة الفهدية

وكلها في نفس المدينة ـ وهناك مدارس الارياف القريبة وهي :

مدرسة قبا ومدرسة العالية ومدرسة القبلتين ومدرسة سيدنا حمزة ومدرسة العيون ،

وقسم المعاهد الخاصه ـ ويشتمل على :

مدرسة دار الايتام وبها ١٥٠ تلميذا والمدرسة الهندية الداخلية وبها ٤٠٠ تلميذا

ومدرسة دار العلوم الشرعية ومدرسة التهذيب ومدرسة التربية والتعليم

ويتالف اساتذة هذه المدارس من حجازيين ومصريين ـ وتونسيين ـ واتراك ـ وسوريين ويتفرع التعليم الى ابتدائي وثانوي ـ وعال ـ ومستوى التعليم في اعلى درجات الرقي ـ ويهيمن عليه اخلاص من الاساتذة والنظار والمديرين منقطع النظير ـ واجتهاد وحزم ـ وقابلية من التلامذة لا نظير

لها في بلد آخر . وقد امكن للخريجين ان ينتصبوا للتدريس والادارة في نفس الجهات التي تخرجوا منها

ويساهم التعليم التونسي بمجهود رفيع في شخص العالم المربي الاستاذ الشيخ احمد التونسي احد اساتذة المدرسة الفهدية.

والهمة منصرفة للاكثار من فتح المعاهد وتنظيم درجات التعليم تنظيما يسابق حركات التعليم في ارقى البلاد الاسلامية

المشاريع العمرانية

مشاريع المياه

كانت مياه الشرب ترد الى المدينة من عين الازرق او عين الزرقاء التي تبعد عن مسجد قبا بنحو اربعمائة ذراع بواسطة قناة تحت الارض احدثها الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان وطواها تحت الارض وفرع عنها عدة فروع موزعة على اطراف المدينة . ويتولى حمل الماء من الفروع الى المنازل الخاصة والعامة السقاؤون المحترفون وهذه الطريقة التي مضى عليها اكثر من الف عام تقصت من عذوبة مياه الزرقاء وطيب طعمها ولطف جريانها في المسالك الجسدية وربما جعلت سلامة تلك المياه خارجة عن حدود الرقابة الصحية الحازمة لذلك قررت الحكومة السعودية احداث خزانين عظيمين قريبا من منبع العين وتم تشييدهما على احدث القواعد العصرية من الخرسانة المتينة . وركب فوق المنبع محرك كهربائي عتيد يقذف بالماء في الخزانين ومنهما يذهب مع قنوات مصفحة الى المدينة المنورة . ويقوم المجمع العام بتوزيع القنوات الفرعية

على المحلات العامة والخاصة ـ وبذلك اصبح ماء الزرقاء ـ كما اكد لي كبير مهندسي المشروع انقى واصفى واعذب مياه الشرب لانه يمتاز بمصفاة دقيقة في جوف الارض تخرجه من بين الرمال الناعمة والحصى الرقيقة طيبا طاهرا ـ ويصل لفم الانسان بواسطة القنوات الجديدة .

ويحقق المهندس المختص ان الماء المار بالقنوات اصبح يكفي حاجة خمسمائة الف من السكان دون التجاء الى استعمال المجهودات الاضافية بينما لا يزيد سكان المدينة اليوم عن خمسين الف ساكن

ومن ناحية اخرى فان البعثة المصرية قد اكتشفت تحت منطقة قبا وحول بئر اريس طبقة مائية ثرية تجعل من تلك الواحات المشجرة بالنخيل جنات تجري من تحتها الجداول والسواقي ـ وفعلا فقد شرع ارباب الاملاك الفلاحية المتاخمة لتلك المنطقة في حفر الابار واقامة المحركات المائية واحدثوا من الغراسات المثمرة والفلاحة الارضية ـ والزهور والورود والرياحين ما اتى اكله في اسرع وقت واصبحت تستمع الى دوي المحركات المائية هنا وهناك ـ وتشاهد العمارات الريفية مشيدة وسط المروج الخضر والحدائق الغناء

الجسور والطرقات

يخترق المدينة المنورة وادي بطحان (١) وهو اسمه من عهد النبوة الى اليوم ويجرف عند عبوبه كثيرا من الدور والمساكن ويحتل مجراه مساحة كبيرة غير منتفع بها ويتسبب عن رسوب مياه الوادي بعد الفيضان انتشار البعوض المائي المضر بالسكان ـ واقدمت الحكومة اخيرا

على بناء جسر عظيم من الاسمنت المسلح يمر الماء تحته في شبه قناة ارضية ضيقة ويمر السالكون فوق الجسر حتى في حالة الفيضان الكبير . وبذلك لم يعد في الامكان انعزال عدة جهات وقت نزول الوادي - او رسوب شيء من الماء بعد ذلك واسترجع الناس مساحات شاسعة على ضفتي الوادي صارت صالحة للبناء والانتفاع وقد علمت من المهندس التركي المكلف بجعل الدربزان الحديدي على طرفي الجسر انه سيكون في جماله واضلعه وحناياه من ابدع الدرابز العالمية

اما الطرقات - فقد انصرفت همة الحكومة السعودية للاهتمام بها اهتماما جديا . وتم تعبيد الطريق الرابطة بين المطار وبين المدينة بالاسفلت المحصب وكذلك الطريق الرابطة بين المدينة والينبع - وجانب كبير من طريق مكة - المدينة - ووقع ترصيف الطرقات الداخلية - وامتد في المناخة طريقان طردا وعكسا لتامين الراجلين وركاب السيارات من الازدحام . واضطراب السير - واثارة الغبار ويتوسط الطريقين مشجر لطيف يتوسطه مركز بوليس الطريق .

التنوير

كانت المحركات الكهربائية الخاصة تزود الحرم النبوي وبعض الجهات بالنور الكهربائي ولم يكن استعمال ذلك في متناول العموم - فقررت الحكومة جلب محركات ضخمة من البلاد الامريكية وقد وصلت فعلا الى مرسى جدة والسعي متواصل لنقلها الى ما وراء المنطقة الحرام من المدينة وتركيبها وفي وسع هذه المحركات ان تزود المدينة جميعها

بالنور الكهربائي وتجعله في متناول العموم وربما تم ذلك عند كتابة هذه الاسطر .

التموين

كل شيء من مواد التموين موفور في المدينة واثمانه مناسبة . فاللحوم . والدقيق . والارز . والعجين الغذائي . والسكر . والفواكه . والمصبرات . والالبان الطرية والمجمدة . والخضر والغلال . في متناول جميع المستهلكين مهما كثروا وحتى الاسماك الطرية ترد دوريا من الينبع في سيارات مثلجة . والدواجن موجودة في كل مكان . والارغفة الحجازية . والاندونوسية المعروفة بالتميز تباع في كل وقت . ويكثر على الخصوص ورود الاعناب والمقائي الصيفية وباكورة التمور والرطب اللذيذة وخاصة النوع المعروف بالحلية الذي لا يغيب عن موائد المدينة في موسمه القصير

النظام القضائي

للمدينة محكمة استعجالية . وقلم للمباحث الجنائية . ومحكمة كلية والقضاء في جميعها يجري طبق احكام الشريعة الاسلامية وبمقتضى مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه .

وقاضي الامور المستعجلة هو العلامة محمد الخيال . ويتناول اختصاص محكمته قضايا بادية المدينة عموما وضواحيها وتنظر في التعازير . وفي جميع القضايا التي لا تتجاوز اهميتها المالية ثلاثمائة ريال . ٣٣ الف فرنك .

وهذا الاختصاص قريب من اختصاصات محاكم النواحي التونسية . ومحاكم الاستعجال على عهد الامام سحنون ٣٠ دينارا (٣٠ الف فرنك)

والمحكمة الكلية تنظر في كل القضايا حدودا وتعازير ودعاوي مالية . وكل الامور الشخصية . وتتركب من رئيس اعلى . قاضي القضاة . وهو فضيلة الامام العلامة المجتهد الشيخ عبد الله بن زاحم (١) . من علماء نجد الافذاذ ومعاون اول وهو فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح امام المسجد النبوي . ومعاون ثان وهو فضيلة الشيخ عبد المجيد جبرتي . ومعاون ثالث لم تقع تسميته لشغور خطته بانتقال صاحبها الى خطة اخرى

ومن اختصاصات رئيس المحكمة الاشراف على جميع الدوائر وتسمية نظار الاوقاف والمقدمين والاوصياء وعزلهم .

وتستانف احكام المحكمة الكلية الى المحكمة العليا بمكة المكرمة التي تتركب من رئيس النقض ومساعدين . واربعة مقررين عامين . وتصدر الاحكام الاستئنافية بأغلبية الاصوات . ويمتاز قضاة الاستئناف بان امر تسميتهم لا يحدد لهم مراجع قضائهم كما هو الشان بالنسبة لقضاة الاقاليم الذين يحدد لهم الحكم طبق القواعد الشرعية المنصوص عليها بكتب « كشف القناع على متن الاقناع » « ومنتهى الارادة » و « المفتي » و « الشرح الكبير » .

وتشتمل البلاد الحجازية على مائة محكمة كلية بما يتبعها من محاكم استعجالية واقلام جنائية .

---

(١) وقد توفي الشيخ ابن زاحم وخلفه الشيخ ابن صالح امد الله في عمره

من البقيع الى أحد

ومن عبد الله بن زاحم الى مالك بن انس

في ضيافة قاضي القضاة

لقد شاءت اريحية قاضي قضاة المدينة العلامة الامام فضيلة الشيخ عبد الله بن زاحم ان يكرم القضاء التونسي في شخصي. وان يستمع الى المزيد من مناهج القضاء ببلادنا الشقيقة ويسأل عن زملائه شيوخ القضاء وافذاذه. فشرفني بدعوتي لزيارته ببيته وحدد الساعة السابعة صباحا وهو الوقت الذي يتزاور فيه اهل المدينة بعد تادية فريضة الصبح والعودة الى البيوت. وقبلت الدعوة شاكرا. وذهبت في الموعد المحدد الى بيت رئيس القضاة. فاذا هو يجلس في بهو متسع الارجاء تحيط به براطيل من جهاته الثلاث اقيمت فيها دكاكين مكسوة بالسجاد الشيرازي الرفيع. والوسائد الناعمة المزركشة وحول مجلسه المهيب كثير من المؤلفات النادرة والمخطوطات الثمينة. وغالبها يعالج الفقه الحنبلي - والتفسير والحديث والتصوف. وعلمت ان من عادة الشيخ ان يقعد في مجلسه ذلك بعد ان يغتسل اغتسالا خاصا لرواية الحديث وآراء مذاهب الاسلام. ويحف به رجال العلم والورع. واعيان المدينة وشيوخها ويستمر على الارشاد والمذاكرة والمدارسة الى الساعة التاسعة صباحا - وهو موعد انصرافه الى المحكمة لفصل القضايا.

وحادثت الشيخ في جميع المواضيع فاذا هو بحر لا تكدره الدلاء ـ وامام من ايمة الاجتهاد ـ ومرجع من المراجع الخصبة في علوم المنقول والمعقول .

واثناء استعراض احوال البلاد الاسلامية . استشهد الشيخ بكلمات لشيخ الاسلام ابن قيم الجوزية . في منتهى الحكمة والتأثير ـ قال :

يقول الامام : « ان موسى خرج راعيا ـ فعاد وهو الكليم . وان محمدا نشا يتيما فكان الشان لذلك اليتيم . فان رايت انتهاك الممالك . ووقوع المهالك . فقل ذلك تقدير العزيز العليم . »

وهو يرى ان القاضي يجب ان ياخذ كفافه والا مضغه الناس ـ ويوجب على ولاة الامور ان يوفروا للقاضي ما يجعله يتفرغ لمأمورية الحكم بين الناس غير مشغول عنها باي حاجة من حوائج الدنيا . وينوه بما لرجال الحكم القائم في الحجاز من الحرص على صيانة استقلال القاضي وحماية القضاء من كل المؤثرات العامة والخاصة

ومن الطف ما رايت ان المائدة التي امر الشيخ بمدها بين يدي ضيفه ومن حضر من الزوار لم تخرج عن الرطب واللبن والقهوة اليمنية الرفيعة وبالجملة ـ فاني رايت في كبير قضاة المدينة العالم السلفي . والمجتهد الموفق . والعادل المنصف . والمسلم الصادق ـ كثر الله من امثاله في علمائنا المسلمين

في بقيع الغرقد

جاء يوم الجمعة . وما اجمل ايام الجمع في المدينة المنورة ـ واديت صلاة الصبح في المسجد النبوي ـ وخرجت لزيارة البقيع لتحية السابقين

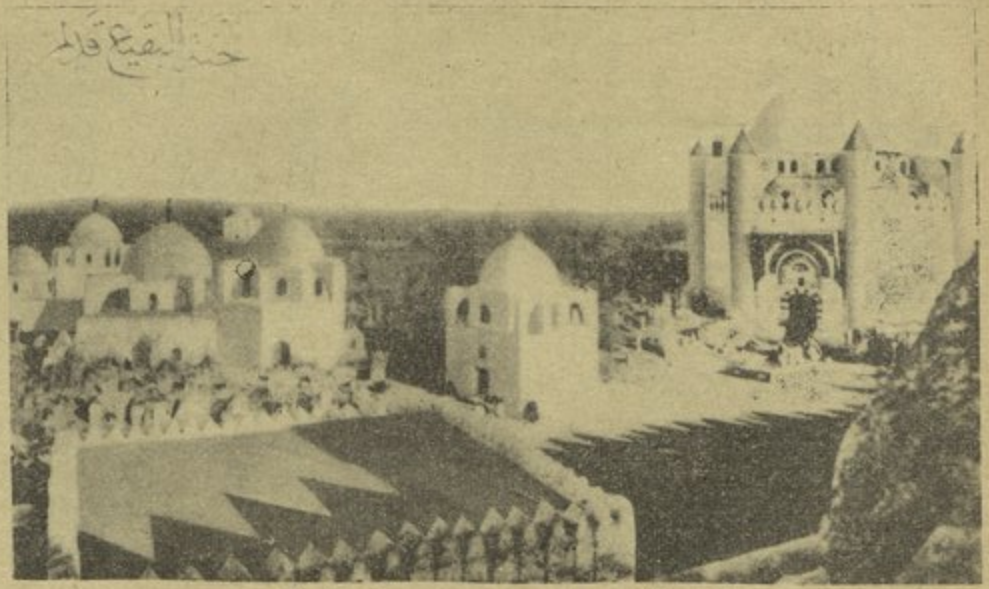

هذه قبور البقيع مثوى اصحاب رسول الله وآل بيته

الاولين من المهاجرين والانصار و آل البيت النبوي . وانها لقشعريرة رهيبة . وجلال مؤثر . وخشوع عظيم يشعر بها الداخل الى البقيع . وقد تساوت فيه قبور السادة والعبيد . والامراء والرعاع . وقواد الجيوش . وابسط الجنود . وخلفاء الاسلام والصعاليك . وابناء الرسول الاعظم . وابناء الشعب لا فضل لقبر على قبر الا بما ينزل عليه من الرحمات . وما تحف به من مواكب الاملاك . كما لا فضل لمقبور على مقبور الا بما يتميز به من التقوى . وما يكتسبه من عمل صالح . ووقفت على قبر الخليفة الشهيد عثمان بن عفان . وسلمت عليه . وذكرته بمواقفه الخالدة في الاسلام . وعلاقته بالبيت النبوي الرفيع العماد ؛ ثم وقفت على سيدنا ابراهيم ابن الرسول الاعظم . وترحمت على هذا الفرع الزكي من فروع الدوحة النبوية . وباركت شبابه الذاوي . ثم وقفت على قبر الصحابي الجليل سيدنا ابي سعيد الخدري واستعرضت مكانته المحبوبة من صاحبه الاعظم صلى الله عليه . ووقفت على قبر السيدة الفاضلة فاطمة بنت اسد الام المنجبة التي ولدت الامام عليا كرم الله وجهه بطل الاسلام وسيف الله القاطع . ونوهت بالامومة الكريمة . والنسب الرفيع وتذكرت كيف ان رسول الله ادرجها في قميصه الشريف عند وفاتها اكراما لها واعترافا بمنزلتها . ثم تحولت الى قبر المرضعة البارة سيدتنا حليمة السعدية التي امتازت بالعطف النبوي وساهمت في العناية بذات الرسول ومحبته ثم وقفت على شهداء احد وقد ناموا في موضع واحد جنبا الى جنب . وخشعت لابطال الاسلام . وقواده العظام . وجنوده البواسل وجعلت اكبر الله واحيي انصار الدين . وحماة الرسول . وتحولت الى

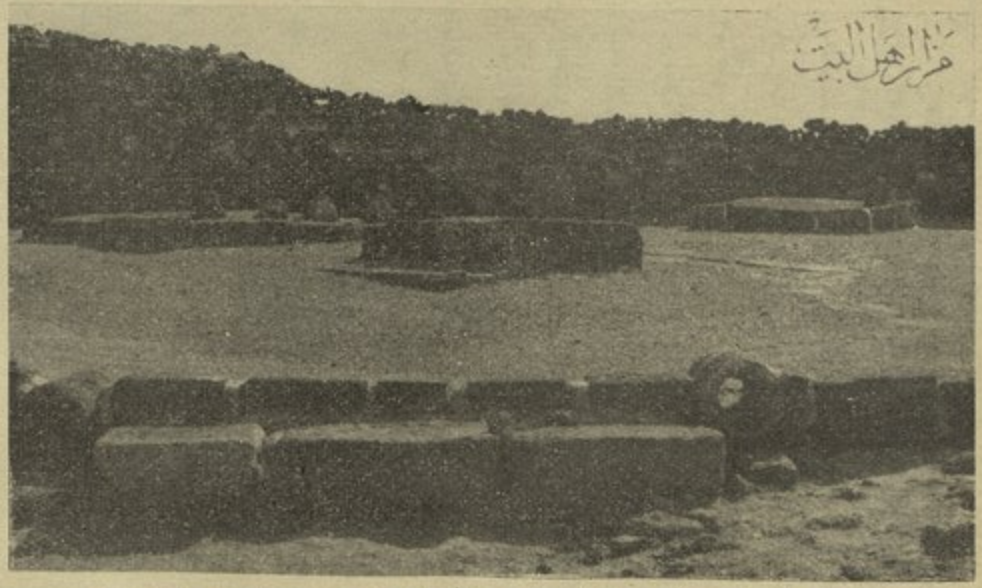

هنا ينام اهل البيت النبوي الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا

قبري الامامين مالك بن انس ونافع سيد القراء . وسلمت على العالمين الكبيرين والرجلين العظيمين . وادركت كيف اجتمعت الامامة العلمية والامامة القرآنية في هذين القبرين المتجاورين . ثم وقفت على قبر عقيل ابن ابي طالب . وتهيأت لتحية زوجات الرسول وبناته . ووقفت وكاني اطرق باب بيت النبوة واحيي اهله الذين اذهب الله عنهم الرجس . وطهرهم تطهيرا . وتحولت الى قبور الال الكرام سيدنا العباس . وسيدنا الحسن . وسيدنا زين العابدين . وسيدنا محمد الباقر . وابنه جعفر الصادق . وسيدة نساء اهل الجنة فاطمة الزهراء بنت الرسول الاعظم وزوجة الفارس البطل وام السلالة الزكية الطاهرة . . وقبور العمات الفاضلات الكريمات وانها لمواقف يقفها المسلم فيغمره الجلال . ويغشاه الصمت والاطراق . وتمر به ذكريات عزيزة على قلبه . حبيبة الى نفسه . وتتمازج احاسيسه بمؤثرات غير معروفة ولا قابلة للوصف والتحليل وما ظنك بشعور المسلم الذي درس السيرة النبوية وتعرف من خلالها لقيم ومقامات اهل البيت الطاهرين والاصحاب الكرام . وقد فاز بالقرب منهم ووقف على مضاجعهم . واستحث ما في مخيلته من قوة العرض والتصوير ليعيش قليلا بينهم وفي صميم ديارهم وازمانهم وامكنتهم .

والجائل بين مسالك البقيع يحس بنسمات الفجر تصافح وجهه وتمر على اذنيه برجع تحياته . وصدى دعائه وتقديره . وتهب بين الاونة والاخرى باردة ناعمة . والبقيع لا يدخله المتسولون اطلاقا احتراما لاهله . واستبقاء على ما يجلله من وقار وسكون وانما يمد المتسولون اعشاشا كاعشاش الخطاف من وراء الاسوار المنيعة مقامة على

اعواد فيضع فيها الزائر صدقاته وهداياه من حيث لا يبصر اصحابها ولا يبصرونه.

والملاحظ انه بعد هدم القباب استعملت صخورها واحجارها وحناياها وطوب جدرانها في ترصيف المماشي . وتحويط القبور . فامنت مقبرة عظماء الاسلام من الاندثار والتلاشي

حول جبل احد

تحت الجبل الحبيب . وفي بداية السهل الذي شهد الوقائع والملاحم. نام شهيد الاسلام الاول . والبطل الليث . عم الرسول الاعظم سيدنا حمزة بن عبد المطلب . وقد وقفت على مصرعه الاول عند جبل الرماة ثم ضريحه الذي نقل اليه تحت السفح جوار قبور عبد الله بن جحش ومعصب بن عمير . وشماس بن عثمان . وعقيل بن ابي امية . وادركت ما في بقاء البطل المغوار دفينا بساحة القتال وميدان المعركة من تمجيد للبطولة البارعة . وتخليد لذكرى الايام الحاسمة . وما في امامته وهو دفين لكتيبة الفدائيين النائمين من ورائه في صف واحد والمتالفين من اثنين وسبعين شهيدا . من رمز ناطق بالبسالة والاخلاص ودال على الرجولة والخضوع لقانون الحرب . واندفعت احيي في صوت جهوري عال معركة احد . وجبل احد . ورجال احد . وشهداءه الابرار . واستقبلت جبل سنع ولاح لي مسجد القبلتين . وجبل النار ومعسكر حامية المدينة والمساجد السبعة المنتشرة في ذلك المرتفع الجليل . وتحولت لزيارة مسجد ابي بكر . ومصلى الرسول . ومسجد (انا فتحنا) ومسجد

هذا مصرع الشهيد الاعظم عم الرسول سيدنا حمزة بن عبد المطلب

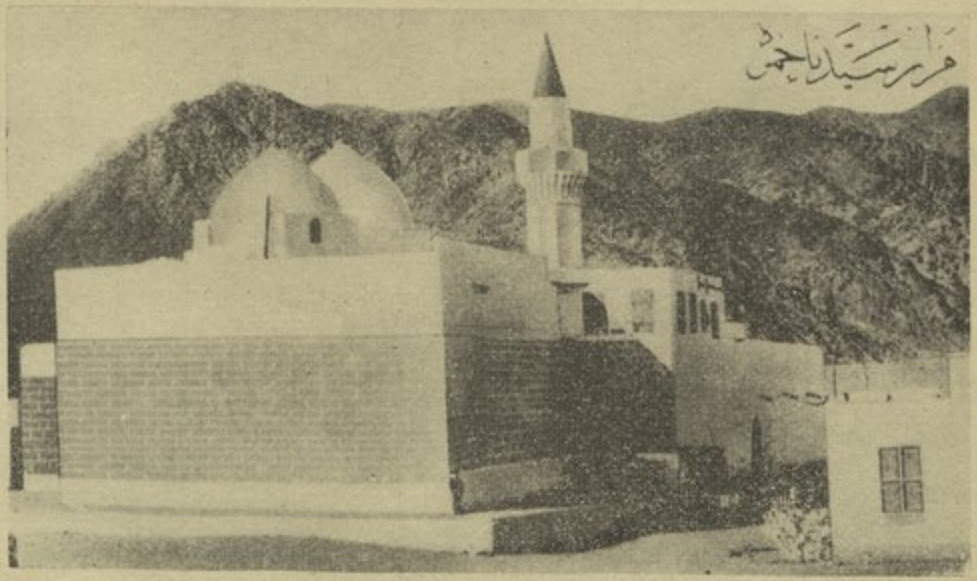

هذه البناية التي كانت تحيط بقبر سيدنا حمزة رضي الله عنه

سلمان الفارسي . ومسجد عمر . ومسجد علي . ومسجد سيدتنا فاطمة

ان هذه المرتفعات التي تقع شمالي المدينة . والتي تحتفظ بامجد الذكريات واروع المشاهد . لا تكفيها الزورات الخاطفة . والوقفات القصيرة . وانها لمصدر للايحاء . ومهبط للسكينة . ومنبع للقوة الروحية . فسلام على ميدان احد جبله وسهله . وسلام على شهدائه الكرام

ولم ابرح الميدان الا بعد ان قدم الي احد شيوخ السقاة اناء يحوي ماء الخندق الذي شارك الرسول في حفره حول المدينة . وقد ملاه السيل الذي نزل قبل يومين وشربت منه تبركا بالاقدام الشريفة التي جالت في الخندق . وردت عدوان الاعداء عن المدينة واهلها

في جنوب المدينة

بين مروج ترتفع فيها باسقات النخيل تجد مسجد الجمعة . ومسجد قبا . ومبرك الناقة . وآثار منازل اصحاب رسول الله . ومسكن سيدتنا فاطمة . والبئر التي يحبها الرسول . ويعذب له ان يشرب ماءها . ويغتسل حولها . وهي بئر اريس او بئر الخاتم . وكل مياه الناحية الجنوبية عذبة . وافرة . ومناخها جميل ساحر . وفيها حوائط يعبق منها اريج الورد . وزهور الحناء . وتتدلى من نخيلها عراجين التمور والرطب في صفرة واحمرار بديعين .

وحول البئر اقيم عريش كالذي اقامه الرسول للصلاة الجامعة . وجعل لتامين الزائرين من الشمس وانبثت تحته المقاعد المتخذة من ليف النخيل واعواده . ويجلس الزائرون هناك . لاكل الرطب المعروض

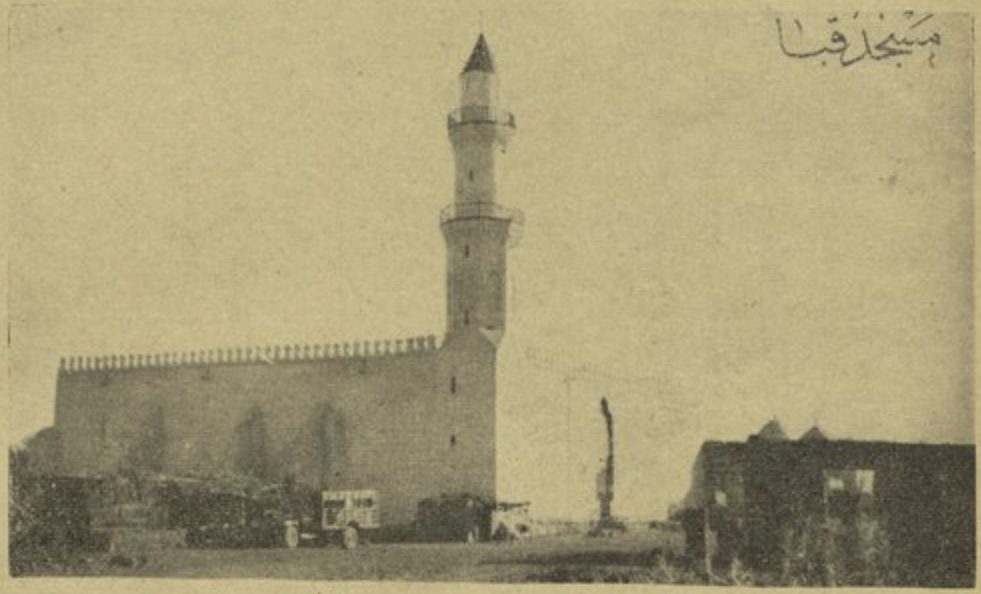

هذا المسجد الذي اسس على تقوى من الله ورضوان

عليهم ولا سيما النوع المعروف بالحليه . الذي كان يحبه الرسول ويؤثره على غيره

وفي تلك الساحات الحالمة باسرار الماضي يستعيد الزائر ذكرى الاستقبال الرائع الذي استقبل به الركب النبوى في طريق الهجرة . والصلوات الاولى التي اقيمت في تلك الارض الذي اتخذ منها الرسول الاعظم مهجره ومدفنه ومبعث جيوشه وهدايته

ولا يكاد المرء يستطيع ان يغادر تلك الساحات . ولا يشبع منها نهمه ورغبته . فاذا جلس حول بئر اريس يشرب من مائه . وينظر الى الدوارق الطينية الجميلة الاشكال مملوؤة ماء ومنبثة حول البئر . واذا اقتعد مقعدا تحت العريش يشرب القهوة المعطرة بالهيل . او ياكل حبات من الرطب او يشرب قدحا من لبن المعز . واذا دخل مسجد قبا وجلس في فنائه الواسع مستقبلا القبلة يتلو القرآن ويتقرب الى الله بالنوافل . ويكثر من الصلاة والسلام على الحبيب الرسول . نعم اذا استغرق في كل هذه الحالات اشتد حرصه على الاستزادة منها . واطالة الجلوس فيها . ورفض الانفصال عنها

الم تكن هذه العرائس القائمة في كل مكان هي نفس اشجار النخيل التي اقام اهل المدينة اياما يتطلعون من فوقها الى طريق مكة منتظرين قدوم الموكب النبوي ليفوزوا بشرف الايواء والنصرة والنظر الى وجه المبعوث الاعظم . صلى الله عليه وسلم

ثم الم يقل صلى الله عليه وسلم . « من جاء متوضئا فصلى في مسجد قبا ركعتين كان له ثواب عمرة »

ومن المعلوم ان المسجد الذي اقيم على مبرك الناقة هو اول مسجد اسس في الاسلام وان الدعاء فيه مستجاب

ومن الادعية المأثورة :

« يا صريخ المستصرخين ، ويا غياث المستغيثين ، ويا مفرج كرب المكروبين ويا مجيب دعـوة المضطرين صل على سيدنا محمد وآالـه . واكشف كربي وحزني . كما كشفت عن رسولك كربه وحزنه في هذا المقام يا حنان يا منان يا كثير المعروف ودائم الاحسان . يا ارحم الراحمين »

الطريق بين المدينة وقباء

يمتاز طريق قباء بكثرة المنعرجات التي تخترق الحوائط والاجنة وما زالت الحوائط تنسب الى اصحابها الاولين من رجـال الصدر الاول وعلى حاشية الطريق اقام الاتراك حصونا وقلاعا لحماية السابلـة يوم كانت الحماية تعتمد على الجندي والسلاح . اما اليوم فقد الغيت الحصون . وتركت القلاع لان الحماية تقوم على تطبيق احكام الشريعة الاسلاميـة . فلا عدوان ولا اضطراب . ولا حرابة ولا اغارة . والناس جميعا يتفيؤون ظلال الامن الشامل . والاستقرار الكامل . ولك ان تسير في اي طريق وفي اي وقت . وعلى اية حالة . فلا يطرقك طارق بسوء . ولا يهـدد وحدتك اي خطر داهم .

والملاحظ . انه انبعثت في النـواحي الجنوبية نهضة فلاحية طيبـة قوامها حفر الابار وتجهيزها بالمحركات الآلية . وغراسة الاشجار وزراعة البقول والمقاثي . وبناء المساكن الريفية الجميلة . وفي متناول الانسـان اليوم عنب الجاروش . والرمان المليسي والتين البرشومي . والتوت الشامي . والبرقوق والبلح . والليمون . مما يبشر بحركة عمرانية مباركة .

قبل يوم الوداع

الخوف من الفراق

ما اجمل الاقامة في مدينة الرسول الاعظم . وما اكرم ضيافته صلى الله عليه وسلم . وما يلقاه زوار حرمه الامن من رفادة وترحيب واحشى ما يخشاه الزائر المحب هو التفكير في توديع المدينة وصاحبها . والارتحال عن العقيق ووادية . وبطحان وناديه . وسبحان من حبب طيبة الى كل القلوب . وجعلها بسمة مشرقة . وفرجة للمكروب . وانسا للمستوحش . واهلا لمن ليس له اهل . ومطردة للداء عن الجسد المريض .

لقد طابت الاقامة ـ وانشرح الصدر وكمل الاتصال . وعظمت النعمة . وعم الامن . وانسدت مسالك الخوف . الا التي ياتي منها امر البعد عن تلك المرابع . والوقوف موقف التوديع للحبيب الاعظم والرسول الاكرم . صلى الله عليه وسلم ـ وما اسرع ما يمتزج الزائر بمناخ المدينة واهلها . وبمائها وطعامها . وشوارعها وبطاحها . فلا يشعر بالغربة . ولا يحس بالحنين الى الاوطان والاقارب . وكان الله الذي اختار لحبيبه المصطفى ان تكون طيبة دار اقامته ومثواه ركب في جوها جاذبية ساحرة . وفي طبائع اهلها لطفا مؤثرا ـ وفي ذكرياتها سفرا لا تنتهي قراءته . وفي معاشها الذ ما تشتهيه الانفس . وفي بساطة وضعها ابدع ما يثير الارتياح والبهجة .

انها والحق الواضح مدينة الاسلام . وعاصمة المسلمين . وملتقى الاجسام والارواح والمهجر الذي يرتاده ضحايا الخوف والظلم . والفارون من قسوة الخصومة . ومشاكل الحياة

فلا عجب ان تملك هذه المدينة على الزائر اعجابه وعواطفه . وان يلتصق بها ويزعجه التفكير في مغادرتها . ويحزنه قطع مدة اقامته فيها

زيارة مساجد المدينة

تقوم في المدينة واطرافها ستة عشر مسجدا - هي (١) مسجد سيدنا حمزة - (٢) ومسجد قباء - (٣) ومسجد القبلتين (٤) ومسجد الفتح (٥) ومسجد الاجابة (ويقع شمالي البقيع) - (٦) ومسجد الراية - (٧) ومسجد السقيا - (٨) ومسجد الفضيخ - (٩) ومسجد بني قريضة - (١٠) ومسجد بني ظفر - (١١) ومسجد ابي بن كعب - (١٢) ومسجد المائدة - (١٣) ومسجد الغمامة - (١٤) ومسجد ابي بكر - (١٥) ومسجد علي - (١٦) ومسجد الفسح

وهذه الاسماء هي من حيث الواقع والتاريخ اصح مما هو مشهور على السنة الادلاء من اهل المدينة - وعلى السنة العوام من ساكني المدينة

لقد يسر الله ان ازور هذه المساجد . ورجوت ان اتلو في ركعتي التحية بكل مسجد الاية التي نزلت فيه . او التي تشير الى الواقعة التي خلدها . وانها الروعة المؤثرة . والجلال الخاشع .

مسجد الخريجي بالمناخة

وقفت على الاشغال الجارية بالمناخة لاقامة مسجد جديد تطوع

ببنائه سري المدينة ورجل البر فيها السيد الخريجي صهر جلالة الملك وسيكون المسجد السابع عشر بالمدينة المنورة ويلحق به ، حمام شعبي متسع الارجاء يجد فيه المصلون ما هم في حاجة اليه من غسل وتطهر

جمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

من انشط الجمعيات العاملة في المدينة (جمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) ويجتمع مجلسها الاداري في بناية جميلة الشكل حسنة الموقع لا تبعد كثيرا عن الحرم النبوي ويضم المجلس طائفة من علماء المدينة ومصلحيها ويتطوع جميعهم بالقيام في جميع الميادين بث الدعوة الاسلامية الصحيحة ومقاومة البدع الضالة . والهداية الى السنة النبوية مبرأة من كل ابتداع مضل واعتقاد فاسد . وينتشر اولئك الدعاة الابرار في المزارات والمقابر ، والمساجد والاماكن الجامعة . ويتلطفون في تقديم النصح ، وبث الارشاد بالموعظة الحسنة والاقناع الحكيم ، ويتولى رئاسة الجمعية . رجل منحه الله من الصبر وحسن الخلق ورحابة الصدر ما لم يتح لغيره . اعانه الله واصحابه الميامين على ما اولاهم وسدد خطاهم ، ووفقهم لما فيه رضاه .

العناية بالقرءان الكريم

يحتل تحفيظ القرءآن الكريم في مدارس المدينة ومعاهدها ابرز مكان في برامج الدراسة ، ويحرص الاباء والاساتذة على العناية بالقرءان وتيسير حفظه على الشباب حرصا منقطع النظير وسوف لا يمضي وقت طويل حتى يكون جمع القرءآن قد عم الصدور ، وانتشر في كل بيت ،

وقد جرت العادة بان يستحضر القيمون العامون للمدارس الداخلية التلامذة لتادية الصلوات الخمس جماعة في الحرم النبوي . وفي انتظار اقامة الصلاة يشتغل التلامذة بقراءة القرآن . في وقار الشيوخ . وسكينه العباد . وامكنني ان اكون قريبا من صفوفهم الطويلة الممتازة . وان اسمع تلاوتهم وابتهج بما هم عليه من جودة في الحفظ . وصحة في الفهم وبراعة في الاداء وفوق ذلك فهناك حصة لتعليم القرآن بالمسجد النبوي بين صلاتي العصر والمغرب يشهدها المئات من الاطفال . وتتم الحصة دون ان يشوش المتعلمون على المصلين والمعتكفين . ودون ان ترتفع الاصوات وتثور الضوضاء .

اسماء المدينة المنورة

ما زال اهل المدينة المنورة يرددون بعض اسمائها القديمة والتي اشهرها ما ورد في القرآن والسنة . مثل (المدينة) قال تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة) . و (يثرب) قال تعالى (واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب ...) و (الدار) . قال تعالى . (والذين تبوؤوا الدار والايمان) و (طيبة) و (طابه)

ابواب المدينة

وللمدينة خمسة ابواب . اولها . باب البقيع وباب الجمعة . ويليه من الشمال الباب المجيدي . وثالثها الباب الشامي المقابل لجبل سلع . ويليه من الغرب الباب الصغير وهو باب في جنوب القلعة الغربي . وخامسها الباب المصري في منتصف الجهة الغربية . وقد انشأ السلطان عبد الحميد باب العنبريه وكتبت فوقه هذه الابيات :

بـاب لطيبة شـاده ملـك الورى خاقاتنـا الغازي ـ الحميد ثنـاه
يا سعد ارخ ـ بـاب سعد ناجـح سلطـاننا عبد الحميـد بنـاه

المـكتبـات

تحتوي المدينة على اكثر من اثني عشر مكتبة انصـرفت اخيرا همة كبير قضاة المدينة الى حفظها وتنظيمها بصورة تتفق مع اهمية مـا تشتمل عليه من مخطوطات قيمة ومؤلفات نادرة

اشهر الابار الاثرية

١) بئر اريس ـ (٢) بئر الاعواف وهو احدى صدقات الـرسول صلى الله عليه وسلم ـ (٣) بئر انس بن مالك بن النظر ـ وهي في ربـاط شمالي العينية ـ (٤) بئر بضاعة شمـالي المدينة ـ (٥) بئر بيرحاء ـ وكانت في بستـان لابي طلحة ـ (٦) بئر رومة وهي في الحد الفاصل بين العقيق والمدينة وهي التي اشتراها سيدنا عثمان وتصدق بها عندمـا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يشتري رومة فيجعلهـا للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة ـ (٧) وبئر غرس

وادي العقيـق

من اجمل اودية المدينة وادي العقيـق وكانت تنتشر في اطرافه حدائق وقصور اثرية وكان رسول الله يستعذب مناخه ويستلطف هواءه. وفيه يقول ابن يوسف.

على ساكني بطن العقيق سلام ... وان اسهروني بالفراق وناموا
حظرتم علي النوم وهو محـرم ... وحللتم التعذيب وهو حرام
اذا ينموا عن حاجري وحجزتم ... على السمع . ان يدنو اليه كلام
فلا ميلت ريح الصبا فرع بانة ... ولا سجعت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود ولا بكى ... على حافتيه بالعشي غمـام
فما لي وما للربع قد بان اهله ... وقد قوضت من ساكنيه خيـام
الا ليت شعري هل الى الرمل عودة ... وهل لي بتلك البانتين لمـام
وهل نهلة من بئر عروة عـذبة ... اداوي بها قلبـا بـراه اوام
الا يا حمامات الاراك اليكمو ... فمـا لي في تغريدكن مرام

اسواق المدينـة

اشهر اسواق المدينة . سوق باب السلام . وطوله ثمانمائة ذراع . وسوق البلاط . على يسار المتجه الى باب السلام . وسوق الساحة . وسوق المناخة . وسوق الحراج

من لطائف المخطوطات

رايت مكتوبا فوق باب الرحمة . « قل يا عبادي الذيـن اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفـر الذنوب جميعا انه هـو الغفور الرحيم . » . « واذا جاءك الذين يؤمنون بئاياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » .

ومن باب الرحمة يقع ادخال الاموات للصلاة عليهم ثم يسار بهم امام المواجهة الشريفة للاستغفار والدعاء لهم ثم يخرج بهم من بـاب الملائكة الى البقيع وهكذا تشرق المدينة في وجه حيها وميتهـا . وتبسم

للزائر عاجلتها وآجلتها . وتعذب للقادم الاقامة فيها . وتتسع آفاقها المباحث والمنقب . وتزخر بالذكريات الماجدة اجواؤها . وتزدحم على المعتبر آياتها وانباؤها . وتسمو نفس المسلم فترتفع الى مجالات رفيعة من الروحانية . فاذا هو يتحيز فضاء نورانيا كله اشراق وكله تجرد . وكله سمو .

اليس . اهون على المسلم ان يتخلى عن حياته من ان يتخلى عن الاقامة في مدينة الرسول . ومهبط الوحي من السماء ومثوى الرسول الحبيب .

ثم اليس عسيرا وشاقا على نفس المسلم الصادق ان يتوجه في يوم اقامته الاخير الى حبيبه وشفيعه . واحب الناس اليه . ليقول : « وادعا يا رسول الله .... ! . » افتكون له الشجاعة الكافية ليقف موقف التوديع ...؟ وتقوى جسديته على الارتحال وتولية دار الحبيب ظهره ...؟

رحمتك يا الله . ومددك وعونك ياولي الامر ... ان هذا الحب الذي عقدت اواصره بين رسولك الاعظم . وابناء امته . في حرارته وعمقه . وفي جدته وسحره . وفي جاذبيته واندفاعه لا تكفيه التعابير . ولا تحيط به الاوصاف . ولا تتسع له الجمل والكلمات . وانه الحب السماوي الخالد المنبعث عبابه من مستودع اسرارك العليا . ومكنون غيبك المحجوب . وانه الحب الذي يخترق في امتداده الازمنة والامكنة . والحدود والتخوم . وتنم عنه صرخات المحبين قائلين : « السلام عليك يارسول الله »

أعظم مشاريع العمارة

في حرم الله وحرم رسوله

«لم يشهد التاريخ عناية بالحرمين كالتي بذلها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وابنه جلالة الملك سعود - مئات الملايين ترصد للعمارة - الحكومة السعودية ترفض كل اعانة خارجية - عشرات الآلاف من العملة يشتغلون اكثر من خمسة سنوات - اصبح الحرم النبوي يتسع للوافدين من اطراف العالم الاسلامي - وسيصبح الحرم المكي بعد اتمام مشروع التوسعة كذلك»

انصرفت عناية صاحب الجلالة المغفور له الملك الجليل عبد العزيز آل سعود لعمارة الحرم النبوي - بعد ان ضاق عن زائريه - وتداعت بعض اسطواناته وقد بدأ العالم الاسلامي يكتتب لفائدة توسعة الحرم وتجديد ما تداعى من بنائه ولكن جلالته اجزل الله ثوابه اعلن ان التكاليف ستكون على حسابه الخاص

مشروع التوسعة

كان المسجد النبوي عندما اقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم تبلغ مساحته سبعين ذراعا في ستين ذراعا ١٠٣٠ مترا مربعا

وفي العام السابع للهجرة وسعه الرسول فاصبح ١٠٠ ذراع في مائة ذراع ١٤٤٥ ميتر ولما ولي سيدنا عمر الخلافة وسعه عام ١٧ للهجرة فجعل طوله ١٤٠ ذراعا بحيث كانت الزيادة ١١٠٠ ميترا مربعا

ولما آلت الخلافة الى سيدنا عثمان جدد المسجد النبوي عام ٢٩ للهجرة فبناه بالحجارة والسواري وجعل سقفه من الساج فكانت الزيادة ٤٩٦ مترا مربعا

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك الاموي اضاف الى المسجد ٢٣٦٩ مترا مربعا ووشى جدرانه بالمرمر وزخارف الفسيفساء وبلغ ما انفقه ٤٥ الف دينارا

وفي خلافة المهدي زاد في الحرم النبوي ٢٤٥٠ متر مربعا وذلك عام ١٦١ هـ

وفي خلافة المستعصم العباسي حدث حريق في المسجد النبوي وبدأ تجديد البناء عام ٢٥٥ واشترك فيه الملك المظفر ملك اليمن ونور الدين ملك مصر

وفي ايام الملك الناصر محمد ابن قلاون من عام ٧٠٥ الى عام ٧٢٩ ادخلت توسعة جديدة على الحرم النبوي مع بعض الزركشة

وفي ايام الملك الاشرف قايتباي بلغت التوسعة ١٢٠ م م

وتولى السلطان محمود الاول العثماني بناء القبة الخضراء عام ١٢٢٣

وباشر السلطان عبد المجيد تجديد البناء وزاد في البناء الاصلي ١٢٩٣ متر مربعا . ودامت عملية الترميم ثلاثة عشر عاما واصبحت مساحة المسجد النبوي ١٠٣٠٢ م م وذلك عام ١٢٦٦ - ١٢٧٧ هـ

المشروع السعودي

لم يجر اي تغيير على وضعية المسجد النبوي بعد الاشغال التي

اجراها السلطان عبد المجيد الى ان تقررت التوسعة السعودية التي بدأها جلالة الملك الراحل بشراء او معاوضة الاملاك المجاورة لاضافتها للمسجد وبلغت مساحة العمارة المضافة ٦٢٤٦ مترا مربعا وقد انتدب جلالة الملك الفنيين والمهندسين من سائر اطراف العالم الاسلامي من الباكستان ، ومصر وسوريا والحجاز واشتغل آلاف من العملة . ايسرت احوالهم . ووجدوا الاجور المغرية ، والمعاملة الطيبة الكريمة . وجلب المرمر والنقوش الزفيعة من كل قطر

وقد بدأت الاشغال اليوم الخامس من شوال ١٣٨٠ تحت اشراف معالي صالح القزاز مدير التوسعة . ومباشرة معالي السيد محمد بن لادن وبلغت مساحة الدور المنتزعة ١٢٠٠٠ متر مربعا

وقدرت العمارة بخمسين مليونا من الريالات (خمسة مليارت من الفرنكات) وزيد من الاعمدة ٢١٢ عمودا

وبلغ عمق اسس المنارات ١٧ مترا في جوف الارض

وفي العام الفارط تمت اعمال التوسعة وفتح القسم الجديد للزائرين

عمارة الحرم المكي

وبمجرد الفراغ من عمارة الحرم المدني اذن جلالة الملك سعود في عمارة الحرم المكي . وبدئت عمليات الانتزاع والهدم وتقدر التكاليف بثلاثين مليارا من الفرنكات

وتقرر ادخال المسعى في الحرم وما حوله من الاسواق والدكاكين واحداث بطاح فسيحة من جهات الحرم وطريق دائري يتصل بالطرقات الاصلية بمكة

وهذه الانجازات الخطيرة الشان التي اجرتها الحكومة السعودية ايدها الله لم يحك التاريخ لها نظيرا منذ ان بنى سيدنا اسماعيل وابو الانبياء سيدنا ابراهيم قواعد الكعبة . وهي دليل واضح على ما لملوك الدولة السعودية من الغيرة على الحرمين الشريفين ومناشدة العزة والعظمة لمقدسات المسلمين واداء الامانة التي خير الله لها آل سعود الميامين ايدهم الله واعز بهم الملة والدين واعانهم على حراسة الحرمين الشريفين وحمايتهما من طوارق الحدثان

والبلاد التونسية كاي جزء من العالم الاسلامي مدينة لجلالة الملك سعود بالشكر والامتنان على ما اجراه وما يجريه بمهابط الوحي ومطاف المسلمين - ومسعاهم - من عناية وانشاء وتعمير .

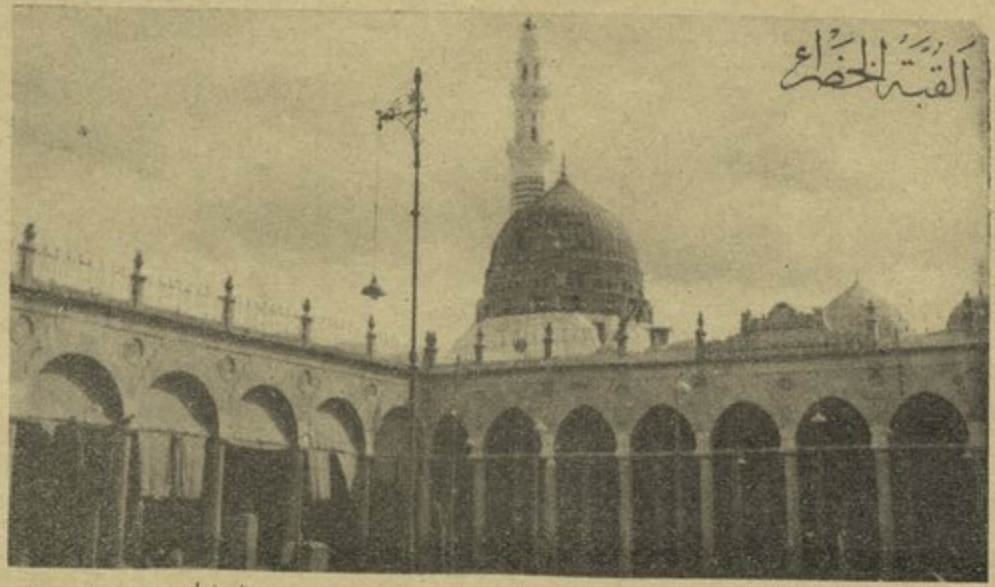

فناء الحرم النبوي حيث امتدت التوسعة من باب الرحمة الى الجوف

وداع مدينة الرسول

دار ارى اثـر الحبيب بها فما احلى لعيني ان اجيل بهـا فمـا

كنت في اليوم الخامس عشر من ايام إقامتي المحببة الممتعة بمدينة الرسول الاعظم اطوف بارجائها المشرقة . وحرم صاحبها عليه سلام الله واتملى من مشاهدهـا . وافتح صدري لانفاسهـا المعطرة . واردد بيت ابن جابر

واني لاشعر في ذلك اليوم وهو يوم الوداع باحاسيس عظيمة الغور قوية التاثير . وتضطرب نفسي فاكاد اسقط على الارض . وتبعـث في اعماقي الاهيب حارة . ولواعج محيرة . واذكر اني ذاهب من بيت رسول الله الى بيت الله ومن طيبة الغراء الى مكة المكرمة . فيعود الي شيء من الاطمئنان ويسكن خفقان قلبي . واختلاج جوارحي . وارابط في الحرم النبوي كاني ملتجيء اليه فـرارا من الارتحـال . واغمض عيني لكي لا ابصر ساعي المطار يدعوني للاستعداد للسفر . وافزع الى الحبيب الشفيع اشكوه امر نفسي وما تعالجه في ذلك اليوم من حرج وحرقـة واخرج الى مسجد الغمامة لاودع واصلي صلاة الغداة . واقف في المناخة الرحبة واقلب الطرف في مئاذن الحرم النبوي . وفي رحاب الحرم . وما حول الحرم . وابدو وكاني مسلوب العقل . منهوب الفؤاد واستزيد من شرب ماء المدينة في دوارقه الخزفية الجميلة . واندفع راجعا الى الحرم داعيا باكيا . واعانق خدمة الحجرة النبوية واقبل ايديهم . واجلس الى

شيخ الروضة مولانا البركة الفاضل الصالح الابر الشيخ سيدي عثمان مهرجي وقد تانست بابتسامته العذبة . ورحابة صدره . وجلال مهابته. وكرامة نفسه فيلفت نظره اضطرابي . وتغير حالي . ويسألني في لطف عن واقعي وما عسى ان يكون قد طرأ علي . واجيبه في انكسار وتاثر باني مودع رسول الله في ذلك اليوم . ويشفق علي . ويستقبل مخدومه الاعظم . ويدعو لي بالعودة وحسن الاياب واقبل يديه . وانصرف من حضرته . واجلس في الصفة السعيدة . ثم انهض واقف امام خوخة ابي بكر . ثم اتحول الى حجرة الزهراء فاحيي ملعب السبطين الكريمين وامهما سيدة نساء اهل الجنة

واسأل نفسي عن هذا الاشراق الذي ابصره اليوم في وجوه اجوار الرسول وهذه الجاذبية التي احس بها نحو ارض المدينة وسمائها . وهوائها ومائها . انها جاذبية قاهرة . وانه اشراق فاتن . وان الايام انطوت كانها لحظات . وانصرمت كانها لمحات . وان الموقف لاحرج مما تتحمله الانفس . واشد مما يغالبه الصبر

دقت الساعة

اديت فريضة الظهر في الحرم النبوي وجلست استظل بظله الوارف لا تقي حر الهاجرة وحر ما اجده في نفسي من لوعة وحرقة . وفجأة اقبل ساعي المطار يدعوني للتوديع والتاهب للطيران بعد اربعين دقيقة.

استمعت اليه والتفت الى الحجرة النبوية وصرخت استجير بالرسول الحبيب وكاني الطفل الصغير يفصل بينه وبين امه الروؤم . او الفراخ

الآمنة يروعها الصائد ويحول بينها وبين عشها الوادع

دقت ساعة الوداع يارسول الله واذن مؤذن الرحيل فلا حول ولا قوة الا بالله ولا امل الا فيما يفيضه الله من صبر وقوة وما ينعم به من شجاعة وجلد

وكان علي ان اعود الى البيت واغتسل واتجرد من ثيابي . وارتدي ثياب الاحرام . وارجع للتوديع . ولكن قواي انهارت . وجسمي تسمر في مكانه والوقت لا يكفي لانجاز ما يدعوني من الواجبات

وتحفني العناية الالاهية . فامضي الى البيت واخلع ثيابي واغتسل والبس ثياب الاحرام . واعود الى الحرم النبوي واركع بين بيت الرسول ومنبره ركعتي التحية واتعثر في حركاتي ويلجمني الموقف . وتنحبس دموعي . ويرجف قلبي . وابتهل الى الله ان يمنحني المدد والتسديد . وتمر بي قوافل المودعين في ثياب الاحرام وقد دخلوا في اردیتهم وازرهم البيضاء ورؤوسهم الحاسرة . وكانهم صفوف الملائكة تخالط زوار المسجد . ويشتد بي الحنين الى الكعبة الغراء . فاقف وانحرف من الروضة الى المواجهة الشريفة لتحية الوداع

ولكني . هل املك ان اقول : وداعا يا رسول ال ...؟ وهل تنفرج شفتاي عن التصريح بكلمة الوداع ...؟

وهل استطيع ان اشكو الى الحبيب امر البعد عن قربه ...؟

واخيرا واجهت الرسول . وفي موجة من الدمع . وغمرة من الخشوع . وغيبوبة عن النفس . ودعت . ودعوت ورجوت .

وسألت العودة والغفران . وسلمت على الشيخين العظيمين . ووقفت في مهبط الوحي وخرجت من باب الملائكة .

في الرابعة كنت في المطار بعد ان مررت بالجبل الحبيب اودع وابكي - واديت فريضة العصر مع بعض الاخوان المسلمين من الاتراك والسودانيين وجلس الجميع في انتظار قيام الطائرة وكان الحر شديدا وفيح الهاجرة يجتاز الاخية والمباني وجلس على مقربة مني احد الاخوان الاتراك . يغمره الذهول والحيرة - وحدثني احد الحجاج الآتين من طرابلس الشقيقة وكان يفهم التركية جيدا بان هذا الاخ التركي كبر عليه ان يخرج من المدينة . وعز عليه ان يترك جوار الحبيب . وانه ما يزال بين بكاء واغماء منذ ان تحركت العربة من المدينة الى المطار . واكد لي ان ذلك الاخ من اهل قونية ذات الطقس البارد والحرارة المنخفضة . وانه يتحمل في استعذاب ولذة طقس الحجاز ويرفض ان يتحول عنه

الفناء في الحب

انضم الاخ الطرابلسي لرفاقه وقربت مجلسي من مقعد الاخ التركي وجعلت اهتم بالنظر اليه . ومتابعة حركاته . وكان لا يحول بصره عن المدينة ولا تسكن شفتاه عن التصلية والتسليم . وفجأة ارتخت اعضاؤه وارتج مقعده وانفتح فمه بالابتسام فظننته قد وقع في إغماء واسرعت لمساندته واضعا راسه على صدري . فلم يزد على ان نطق بالشهادتين . واغرق في الابتسام ثم طارت روحه عائدة الى دار الحبيب

متخلصة من الجسم الفاني الذي بقي في احضاني طاهرا طيبا نقيا مباركا واضجعته على الارض فوق بساط صلاته . وغمرت وجهه المشرق تقبيلا . وترحمت عليه . ودعوت الله منتهزا ذلك الحين العامر بمواكب الملائكة . واشعرت رجال الحرس فهتفوا الى مصالح الاسعاف التركي بالمدينة واقبلت السيارات بعد دقائق معدودات وتاكد الاطباء موت الرجل وحملوه ليدفن بالبقيع الاطهر جوار آل البيت الطاهرين . وخلفاء الاسلام . وشهداء احد . ووقفت اودعه وكانه بعض ذاتي وجزء من نفسي . واحسست نحوه بحب جنوني تجسمت فيه احاسيسي . ونطق بما انطويت عليه من تاثر ومجالدة واعتقد الحاضرون اني من اقرباء الهالك المحب لفرط هلعي وبكائي فقدموا الي تعازيهم الحارة .

واقلعت الطائرة في الخامسة . فتوجهت الى الله البي بالعمرة . وارسلت صرخات التلبية كلما ارتفعت الطائرة تتفادى قمم الجبال العالية . وتخترق السحب . وكلما نزلت الى ما دون ذلك . وكلما تحركت الرياح . وارسلت آخر النظرات الى طيبة الكريمة المضيافة وقد انطوت فلم تبد الا بقعة خضراء بيضاء في امتداد الصحراء والجبال وفي صميم الفيافي والوهاد

وعلت الطائرة فوق شواطيء البحر الاحمر فكانت تتهادى بين البحر والصحراء . وبين الرمال والماء في شموخ واتزان

وفعلت التلبية في نفسي فعلها الساحر فسلتني عن فراق المدينة وهونت علي صدمة الفراق

واستعرضت من الجو مراحل سير الرسول الاعظم من المدينة الى مكة في حجة الوداع حيث سلك طريق الشجرة . ومنه الى ذي الحليفة متجها الى الجنوب ضاربا الى الغرب ومن الشجرة الى الروحاء . ومنها الى الاثاية فالى العرج ثم يضرب الى الغرب مقتربا من البحر فيمر بالابواء اين دفنت السيدة آمنة امه . ومنها الي رابغ ثغر المدينة . فالجودة . فوادي عسفان . فسرف . فمكة المكرمة .

سر التلبية

« لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك . لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك ».

قال حافظ بك عامر . : « هذا هو النشيد السماوي الموضوع للحج كلمات روحانية . فيها انوار السماء تضيء على كل ما في الارض . وكل ما في النفس . وتجعل الانسان سماويا الاهيا في بعض اوقاته . ليتذكرها في سائر اوقاته الاخرى . فاذا رجع الى دنياه العادية نبهته معانيها . فكانت له كالقانون الروحي . هذا النشيد دوي عامر يهتف به مئات الالوف من المؤمنين بصوت واحد . فلا يمكن ان ينساه من سمعه . وبذلك يكون قد انغرس في نفس الحاج وحمل معه الهيئة التي تذكره دائما . فيرتبط في الذاكرة . فلا يمحى ولا ينسى .

يلبي الحجيج كلهم بهذه العبارات : « لبيك اللهم لبيك ... »وهذا تجرد تام من الحيوانية وطغيانها وظلمها وغرورها واستبدادها . واتحاد تام من الانسانية في توجهها الى خالقها بما فيها من الحقائق دون الاباطيل واعلان المساوات التامة بكل معانيها . فالكل احرار متساوون لان العبودية

لله وحده . والكل اخوان متساوون لان الملك لله وحده . لا يذل انسان انسانا. ولا يملك انسان انسانا ومعنى هذا ان الانسانية متظافرة متآخية متعاونة . فهي كالجيش العامل نصيب اصغر فرد منه متمم لنصيب اعظم فرد . فهم يختلفون في الطبقات وفي المناصب والاعمال . ويتفاوتون في العقول والافكار والقوى . ولكن الجيش بعد ذلك وحدة . ولا يتم له معنى الجيش الا ان يكون وحدة . ولا يعمل عمل الجيش الا بانه وحدة .

هل في الانسانية اسمى من هذا المعنى ؟ وهل وجد دين آخر استطاع ان ينطق الملائين بهذه المبادي السامية ويجعلها لهم نشيدا مفروضا عليهم . ويدخلها في نفوسهم . فهذه الهيئة التي تجعل الروح تبكي في داخلها من خشية الله . وتجعل الجسم يرتعش كانما مسته من هذه الكلمات كهرباء لا قوة له على دفعها ولا رد

ان الذي لم ير ولم يسمع مئات الالوف في ذلك المظهر الطبيعي يهتفون بهذه الكلمات الرائعة من اعماق قلوبهم لا يكون قد راى الانسانية في ارقى معانيها واسمى مظاهرها »

هذا هو السر الذي تسليت به عن ديار الحبيب . وهذا هو النشيد السماوي الذي تغنيت به في السماء . وما زلنا نلبي حتي ارتفعنا فوق ميناء جدة وثغر الجزيرة العربية العظيم وكانت جدة بمبانيها الشاهقة وشوارعها الرحبة وميادينها الفسيحة تبدو من الجو كانها لوحة منقولة عن الاصل .

وفي الساعة السادسة والنصف نزلنا في مطار جدة .

في حراسة الله

تدافع الحجاج ينزلون من البحر ومن الجو وكل يسرع الى اتمام الاجراءات المتبعة فمن قسم التاشير على الجوازات الى قسم الحجز الى فروع البنوك لقبض الودائع المحولة . والجميع يتركون ادباشهم وحقائبهم والثمين من متاعهم على حاشية الطرقات . وفي افواه الميادين وقرب الشواطي الطويلة في حراسة الله وحده . ولم يفقد واحد شيئا لان الامن الذي بثه تطبيق مبادىء الاسلام قد عم الحواضر والبوادي . واغنى الناس عن الحراسة والحراس . وبعث في القلوب الاطمئنان والتعفف .

وانه لمنظر غير مالوف للوافدين جميعا ، وحالة لم يالفها سائرهم الحقائب المحملة بالذهب والملابس والمتاع العزيز منتشرة في كل مكان . والفقراء والعملة والمتسولون يمرون بها مر الكرام . ولا طمع ولا خوف . ولا خسة ولا حذر . والقاضي يجلس في بيته يشكو التعطل عن العمل . وقلة الطارق لبابه .

وهكذا يمنح العدل الالهي هذه الحصانة المنيعة للنفوس والاموال والاعراض ويمضي اليوم فلا تسجل محاضر الثغر الحجازي الآهل بنصف مليون من السكان حدوث سرقة واحدة فتبارك الذي له الملك والمجد لا اله الا هو بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

من جدّة إلى مكّة

جدة

ـ ميناء ـ الجزيرة العربية ـ ومصب زيوت النفط التي يزخر بها بطن الجزيرة . والمدينة التي تسير نحو التبحر والعمران بخطوات سحرية ـ وتمتد على شواطئها القصور الناطحة للسحب بين عشية وضحاها والثغر الذي سيلعب اعظم الادوار في الميادين التجارية والعسكرية . ويكون له الشأن الكبير في الاستراتيجة العالمية

وجده ـ بضم الجيم وتشديد الدال خلافا لما جرى على الالسن . وهي واقعة على الدرجة ٣٦ ـ والدقيقة ٥٠ من خطوط الطول الشرقية ـ وعلى الدرجة ٢١ ـ والدقيقة ٢٨ من خطوط العرض الشمالية

وبها خمسة وثلاثون مسجدا احدثها مسجد المطار الذي اقامه جلالة الملك وجهزه بالمياه العذبة والحنفيات الجميلة والمراوح الكهربائية والتنوير المقنع الشديد الاشراق

وفي جده يجتمع الحجاج القادمون جوا وبحرا من جميع الاقطار والاصقاع والجميع في ثياب الاحرام . تحدوهم غاية واحدة . ويحركهم احساس مشترك وكلهم يبتدؤون اولى خطاهم في الاراضي المقدسة . ويبرزون في تلك الثياب البيضاء والرؤوس العارية في حشر ملائكي بعيد عن المألوف والمعتاد

الاحـرام

يقوم الحج في الاسلام على نظام كشفي عجيب. (١) وهو في الحقيقة النظام الاعظم للكشافة الاسلامية فهناك كل فرد هو كشاف اعظم لا باختياره وفكره ولكن بعقيدته وقلبه . فكل انسان يتجرد من منافعه الشخصية . ويوطن نفسه على احتمال المشقة . ويندمج في الباقيـن اندماجا نظاميـا عسكريا . ويحمل معه من الحج الصورة الطاهرة الى الانسانيـة . هناك لا كذب ولا رفث . ولا فسوق . ولا جـدال . ولا نزاع . هنـاك لا يختلف النظر الى الانسان بل تكـون نظرة الجميع نظرة واحـدة . نظرة عطف ومحبة ومعاونة . واسعاف ووفاء حقيقي مجـرد من كل نزعة شخصية هناك كل مبادي الكشافـة مصفاة مطهرة . ومن اعـاجيب الحكمة الآلاهية ان يكون مكان الحج في الصحراء المتقلبة بجوها وطبيعتها وان يكون زمانه دائرا مع الاوقات القمرية المتحولـة غير مقيد بالسنة الشمسـة حتى لا يقع في موسم واحد . بل يجيء مرة في الحـر . ومرة في البرد . ومرة فيما بينهمـا . لان مبدا الكشاف الحقيقي ان يكون متغلبا على شخصية الطبيعة وتقلباتها كما هو رمز للطهارة العامة التي لا تنكص ولا تتخلف امام النفس واهوائها. والكشاف مجرد من الدنياليس له فيها الا انه عامل من عوامل السمو الانساني وكذلك الحاج

والكشاف لا يعبا بالمظاهر الزائفة . بل يحمل الحقيقـة في نفسه . وفي جسمه والحاج اعظم منه في ذلك

---

(١) من الرسالة الخالدة

والكشاف مقبل بجملته على الانسانية والحاج مقبل على الانسانية والالاهية معا . والكشافة نظام . والحج نظام ودين معا

والكشاف عالمي محض . والحاج اقوى عالمية منه »

ومن ابرز مظاهر الوحدة الكشافية التساوي في الملبس . وذلك ما يبدو في ثياب الاحرام

والحاج يحرم بتغطية جسمه بملاءتين غير مخيطتين . والخياطة هي اساس المظهر . والخياط هو في الحقيقة صانع المظاهر المتدرجة في التفاوت .. وهو اليد العاملة على تنويع الناس . ومباهاة بعضهم بعضا . وكذب بعضهم على بعض في ظاهرهم . ففي الحج تعدم هذه اليد البتة . لانه لو جاز وجودها . وجاز لبس المخيط في الحج لوجد التفاوت حتما ومع وجود التفاوت لابد من وجود التدرج فيه. فيكون الحج مظهرا للازياء ويبدو الغني بغناه . والفقير بفقره . وبهذا لا تتحقق المساواة . فاراد الشارع تحقيق هذه المساواة من اساسها الطبيعي وهي حكمة عجيبة بالغة . فتظهر الانسانية في الحج ببساطتها الطبيعية . وتسقط الدنيا الصناعية الكاذبة التي هي مثار الاحقاد في النفوس . ثم ان الاحرام على هذا الوجه طريقة اخرى من طرق التربية الرياضية يثبت الطب منفعتها وضرورتها للجسم البشري فكان الشارع الحكيم يقول للناس عودوا انفسكم هذه العادة بين الوقت والوقت وكونوا رياضيين اقوياء وحققوا وصايا امكم الطبيعة »

تلك هي المعاني التي يدركها الحاج وهو يخلع ثياب الزينة والغرور ويرتدي ثوبين غير مخيطين ولا محيطين . ويتخلص من مظهره الذي

تجرأ به على سيده ومولاه . وجاهر بالعصيان والتمرد وما اجمل الحجاج والعمار وهم يزدحمون في شوارع جده ويتسابقون الى دخول مكة . وتحية البيت الحرام

في الطريق

تمت الاجراءات . وامتطينا السيارات واتجهنا صوب البيت العتيق. والاصوات ترتفع بالتلبية « لبيك اللهم لبيك . . »

وبعد مرحلة قصيرة وصلنا الى

١) راس القائم - وهو احدى مراحل الطريق

٢) ثم تجاوزناها الى جراده - ومنها

٣) الى قلعة العبد

٤) ومنها الى قلعة الثديين

٥) ومن هذه القلعة الى بحره

ويوجد بهذه المحطة مسجد بنى اصله النبيء صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من غزة الطائف سنة ثمان وصلى فيه

ويستريح المسافرون قليلا في تلك المحطة ويشربون الماء ويصلون في المسجد النبوي

٦) ثم بعد ذلك يتجهون الى (حداء) وبها ابنية بسيطة ومقاهي ويكثر في ارضها شجر الحرمل وهي التي عناها الشاعر العربي بقوله :

بغيتهم ما بين حداء والحشا واوردتهم ماء الاثيل فعاصما

٧) ومن حداء يتجه السائرون - الى قلعة الشمسي - وبها مسجد الشجرة او مسجد البيعة وهو المسجد الذي بني في موضع الشجرة التي

بايع المسلمون حولها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان على الموت في سبيل الله . والتي نزل في شانها قول الله تعالى « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا . »

وقد كتب فوق المسجد « : هـذا مسجد بيعة الرضوان . ماثرة من مآثر حبيب المنان . عمره رحمة الرحمان . السلطان محمود خان ١٢٥٤

٨) ومن القلعة يدخل الانسان بين العلمين المشيرين لبداية الحرم

٩) ثم يصل الى قلعة المقتله

١٠) ثم يصل الى ام الدود وهي التي دفن فيها عبد الله بن عمر حسب احدى الروايات عن مدفنه

١١) ثم يصل بعد ذلك الى ذي طوى وفيها البئر التي اغتسل منها الرسول عليه السلام في حجة الوداع استعدادا للدخول للبيت الحرام . والتي يستحب ان يغتسل بها الحجاج

١٢) ثم يمر بفخ

١٣) ثم يمر بسرف

١٤) ثم يصل الى المحصب

١٥) ثم الى جرول

١٦) ثم الى طريق الحجون

ويدخل الى مكة من ثنية كدا سائرا بين جبل الخندمة . وجبل ابي قبيس

وفي هذا المكان يشعر القادم بعظمة الموقف . وتتهيأ نفسه لما هو

مقبل عليه من عبادة ونسك . ويغمره فيض من السمو الروحي . ويجلله الوقار . وتختلط عليه هتافات التلبية والتكبير والتحميد . فهو قد لبى نداء ربه . ووصل الى حرمه الامن بعد لاي ومشقة وامسى او اصبح على خطوات من الكعبة الغراء المحور الالاهي الذي يدور حوله عالم المؤمنين والاسلام . وهو ينظر الى هذه المواكب النبوية المارة الى الكعبة تطل عليه من خلال الماضي السحيق وتشيع في نفسه الجلال والعبرة . والتوحيد

على ابواب مكة

يدخل الحجاج الى مكة متوجهين توا الى القيام بطواف القدوم او طواف العمرة ولا ينصرفون باعينهم وقلوبهم حين اجتياز ابواب مكة الا الى الكعبة الغراء

وحسبهم ان يحطوا رحالهم ويسرعوا الى باب السلام وقد تركوا التلبية . واقبلوا على هتافات وتحيات وابتهالات اخرى لان الحكمة من التلبية قد حصلت والمعنى الذي يراد منها قد تم

والمقام الان مقام السلام . ومقام التقديس . والالتجاء

وليس من الهين ان يدرك المسلم ما تمر به من حالات روحية وهو يسير من ابواب مكة الى باب المسجد الحرام . وانها لالوان من الاهتزازات النفسية يصطبغ بها في غمرات من الاحاسيس . ما اعظمها . وما اكرمها

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم . ومقصرين »

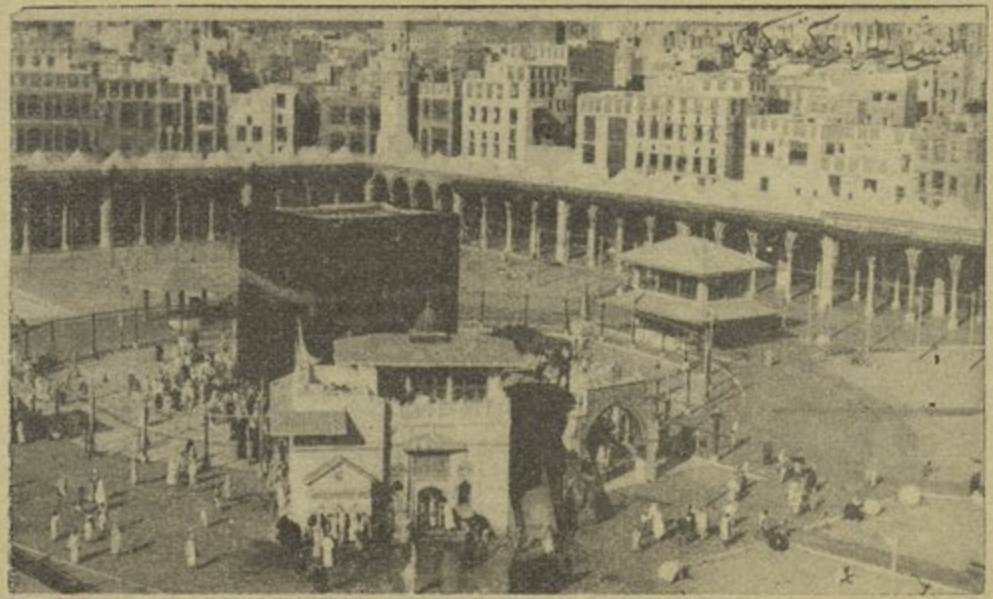

صورة جامعة للكعبة والمطاف . وزمزم والحطيم

التعريف بالمسجد الحرام

يقع المسجد الحرام في وسط مكة المكرمة . وهو مستطيل منتظم الشكل تقريبا . وطول ضلعه الشمالي المقابل للحطيم ١٦٤ مترا . وضلعه الشرقي الذي فيه باب السلام يبلغ طوله ١٠٨ امتار وضلعه الجنوبي يبلغ طوله ١٦٦ مترا . اما ضلعه الغربي فيبلغ طوله ١٠٩ مترا فيكون مسطحه ١٧٩٠٢ من الامتار . وعلى امتداد محيطه من الداخل انشئت اربعة اروقة مسقوفة في عرض ثلاثة عقود قائمة على ٣١١ عمودا بعضها من الرخام المتين وبعضها من الحجر الاحمر يحمل كل اربعة منها قبة فخمة واما ما بقي منه فهو عبارة عن صحن متسع غير مفروش تقطعه ممشى مرصوفة بالمرمر تقسمه الى مساحات مختلفة الشكل مفروشة بالحصى الصغير . والكعبة المشرفة في وسط الصحن .

وابوابه خمسة وعشرون . وهي :

في الجهة الشرقية . باب السلام وباب قايتباي . وباب النبيء . وباب العباس وباب علي

وفي الجهة الجنوبية : باب بازان وباب البغلة . وباب الصفا . وباب اجياد الصغير . وباب المجاهدية . وباب مدرسة الشريف عجلان . وباب ام هانيء .

وفي الجهة الغربية . باب الحذوره . وباب ابراهيم . والباب الصغير . وباب الداودية . وباب العمره

وفي الجهة الشمالية : باب الزمامية . وباب العجلة . وباب القطبي . وباب سويقه . وباب المحكمة . وباب الكتبخانه . وباب دريبه

وللحرم سبع مئاذن مرتفعة جميلة الشكل

مشمولات المسجد الحرام

يشتمل المسجد الحرام من الداخل على

اولا : الكعبة المكرمة وهي في وسط دائرة المطاف ويتبعها الحطيم

ثانيا : بئر وقبة زمزم وهي في الجنوب الشرقي من حدود المطاف

ثالثا : مقام سيدنا الخليل ابراهيم عليه صلاة الله وهو داخل دائرة المطاف شرقي الكعبة

رابعا : باب بني شيبة شرقي زمزم الى الشمال وهو قائم على عمودين من الرخام ويمثل قوس نصر وقد احتفظ بمكانه الحالي لان الرسول عليه سلام الله دخل منه في حجة الوداع

خامسا : المنبر . وهو من الرخام الجميل الموشى بماء الذهب يقع بالقرب من مقام الخليل

سادسا : مقاعد الايمة . وهي اربعة مقاعد خصص كل واحد منها لكل امام من ايمة المذاهب الاربعة لان الصلاة كانت قبل ان تخضع البلاد للحكم السعودي يقيمها كل امام لاهل مذهبه بانفراده فتتعدد الجماعات . اما الان فان الامر انتهى الى الوحدة التي دعى اليها الاسلام وامر بها فلا تقام الامرة واحدة دون مراعاة الفروق المذهبية . وهذا من حسنات الحكومة السعودية . ومن اعظم ما يخلد لها من الاعمال والمبرات

ولم يبق الا ان نتحدث عن وصف الكعبة الغراء زادها الله تشريفا وتعظيما .

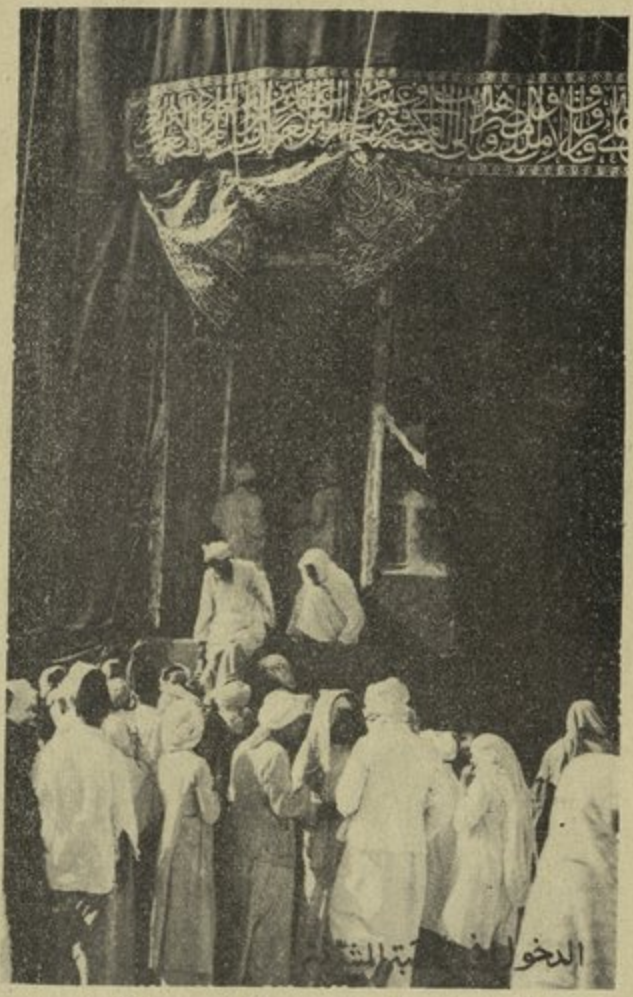

هذا باب الكعبة الغراء مفتوحة في وجه زائريها

وطهر بيتي للطائفين

قبل الطواف

يسير القادم على مكة الى البيت الحرام وهو يردد : « اللهم ان هذا الحرم حرمك والبلد بلدك . والامن امنك . والعبد عبدك . جئتك من بلاد بعيدة بذنوب كثيرة . واعمال سيئة . اسألك مسالة المضطرين اليك . المشفقين من عذابك ان تستقبلني بمحض عفوك . وان تدخلني في فسيح جنتك . جنة النعيم .

اللهم ان هذا حرمك فحرم لحمي ودمي وعظمي على النار . اللهم امني من عذابك . يوم تبعث عبادك . انت الرحمن الرحيم اسالك ان تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما »

واذا وصل الى باب السلام قال : « اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام . وادخلنا الجنة دار السلام »

ومن باب السلام تواجه الكعبة المشرفة جميع القادمين . وتحفهم النفحات الالاهية . ويتخلون عن منازعهم الجسدية . ويضجون بالتحية والدعاء .

فقد جاء في حديث ابن امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تفتح ابواب السماء وتستجاب دعوة المسلم عندرؤية الكعبة »

وان المسلم اذا واجه الكعبة لاول مرة وامتزج في نظره نورها

الاخاذ . وسواد ردائها الفاحم . وادرك ما يحيط بها من مهابة . وروعة وجلال ووقار يغمره الخشوع . وتفيض عيناه بالدموع ويملا اذنيه الرد الملائكي .

انها الكعبة الغراء بيت الله . الذي بوأ مكانه لابراهيم الخليل . وامره بان يطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود . وان يؤذن في الناس لياتوه رجالا وعلى كل ضامر . وانها الحرم الحرام الذي لا يعتضد شجره ولا يختلى خلاه . افلا يشعر المسلم عندما تقع نظرته الاولى على الكعبة بهزة نفسية رهيبة . ودخول سريع في الغمرات الروحانية . وسمو الى مقامات التجرد والنسك

الكعبة الغراء

قال تعلى « فول وجهك شطر المسجد الحرام . وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » تقع الكعبة في وسط المسجد الحرام تقريبا وفي منتصف دائرة المطاف وهي بناء فخم عظيم الهيبة يمثل حجرة كبيرة مرتفعة البناء مربعة الشكل تقريبا

وتسمي - (١) الكعبة - (٢) والبيت العتيق - (٣) ونادر - (٤) والقرية القديمة - (٥) وقادس - (٦) والدوار

ويروى ان الكعبة بنيت او جددت عشر مرات - (١) بنتها الملائكة (٢) بناها آدم - (٣) بناها اولاد آدم - (٤) بناها الخليل - (٥) جددها العمالقة - (٦) جددها جرهم - (٧) وجددها قصي - (٨) وجددها قريش - (٩) ثم جددها عبد الله بن الزبير

ويبلغ ارتفاع الكعبة خمسة عشر مترا . وطول ضلعها الشمالي

٩٢ر٩ ـ وطول ضلعها الشرقي ٨٨ر١١ ـ وفيه الباب مرتفعا عن الارض بمترين تقريبا وطول ضلعها القبلي ٢٥ر١٠ مترا ـ وضلعها الغربي ١٥ر١٢ مترا ـ ويلاصق جدر الكعبة من اسفلها بناء من الرخام يسمى الشذروان اقيم تقوية للجدران وحمايتها من ماء السيل وبدائره من الجهات الاربع حلقات من النحاس الاصفر

وللكعبة اركان اربعة في زواياها يسمى ما بالجهة الشمالية بالركن وما بالجهة الغربية بالركن الشامي ـ وما بالجهة الشرقية يسمى بالركن الاسود وبه الحجر الاسود وما بالجهة الجنوبية بالركن اليماني وما بين الحجر وباب الكعبة يسمى بالملتزم وقد وقف ودعا به سبعون نبيا ورسولا والدعاء عند الملتزم مستجاب

والكعبة مبنية من الحجارة الصماء ذات الحجم الكبير ، واللون الازرق الجميل وسطحها مفروش بالواح المرمر ، وفي اعلا الجدار الشمالي يوجد الميزاب وهو مصنوع من الذهب الخالص ـ مطل على حجر اسماعيل وقد وضع لتصريف مياه المطر الذي ينزل على سطح الكعبة

ويحمل سقف الكعبة من داخلها ثلاثة اعمدة من خشب العود الماوردي الجيد على صف واحد من الشمال الى الجنوب وعلى يمين الداخل للكعبة في زاوية الركن الشمالي الشرقي باب يصعد منه على مدرج الى اعلاها يقال له باب التوبة

وسقف الكعبة منقوش بالنقوش العربية ومعلق به بقايا الهدايا الثمينة التي اهديت اليها من الملوك وبحيطانها من الداخل شبه ازار من الرخام على ارتفاع مترين

المطاف

يحيط بالكعبة المشرفة مسطح من الارض على شكل دائرة بيضية مختلفة الابعاد يسمى بالمطاف واكبر قطر به هو الممتد من الشمال الى الجنوب وذرعه ٥١ مترا ومتوسط محيط هذه الدائرة يساوي ١٠٠ متر وارض المطاف منخفضة على ارض الحرم قليلا وقد فرشت بالمرمر الملون

ويحيط بدائرة المطاف ثمان وثلاثون عمودا من النحاس الاصفر يتصل بعضها ببعض بعوارض من حديد، علق في كل عارضة جملة مصابيح وفي بعضها ثريات تضاء ليلا بالتيار الكهربائي الذي جدد تجهيزه بمصابيح واذرعة من النور الفجري البديع

حكمة الطواف بالبيت

قال حافظ عامر: « الطواف قيام بالخدمة والعبودية لله . والطائف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله . معلن عن شدة حاجته لمولاه . والتجائه الى حماه . فهو يطوف استمطارا لرحمة ربه . واستنزالا لغفرانه . واستفتاحا لبابه عسى ان يكتب في الفائزين . وشرع الرمل في ثلاثة الاشواط الاول من كل طواف يعقبه سعي بين الصفا والمروة . لاظهار القوة والتجلد والنشاط والهمة في العبادة والاصل في ذلك انه لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء وكان اهلها لا يزالون على شركهم سمعهم يقولون « سيطوف اليوم بالكعبة قوم او هنتهم حمى يثرب » فقال رسول الله لاصحابه « رحم الله امرأ اراهم اليوم من نفسه قوة »

حكمة استلام الحجر الاسود

استلام الحجر كانه مبدا للاقبال على المولى والوقوف ببابه . كما يفعل عند الدخول على الملوك والوقوف بابوابهم ولله المثل الاعلا . والمقبل للحجر او المستلم له كانه مبايع لله عز وجل على طاعته وترك المعاصي ما بقي حيا

وهو رمز لهذه الكرة الارضية كلها يلمسه الحجاج جميعا كانهم يشيرون الى توحيد بلادهم المختلفة . تحقيقا للمساواة في الاسلام حتى في الجنسيات الارضية . فلا تمتاز ارض على ارض . كما لا يمتاز مسلم على مسلم

والمسلمون جميعا في مختلف اقطار الدنيا يوجهون وجوههم في الصلاة شطر الكعبة المكرمة لتوحيد الجهة الاسلامية . فيكون الحجر الاسود في الكعبة كانه روح الارض . وما اجمله رمزا . وما ادقها حكمة . فبمصافحة هذا الرمز يكون كل مسلم كانه صافح بيده وطن الاخر مصافحة الاخوة والود والمحبة والاجلال

وفضلا عن ذلك . في الحجر الاسود رمز لروح الخير في الارض . كما ان في المرمى الذي يرمى بالحجارة رمزا لروح الشر في الارض . فروح الخير يقبل ويصافح . وروح الشر يلعن ويرجم وهذه حكمة عجيبة بالغة منتهى السمو في تجسيم المعاني للنفس

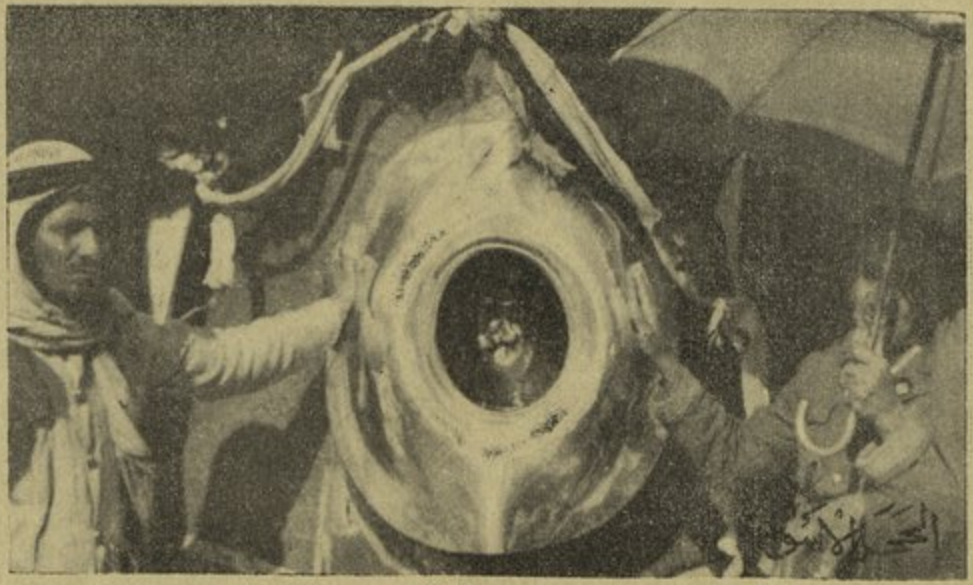

الحجر الاسود في موضعه من الركن ضمن الاطار الفضي

حكمة الطواف

يقوم محور الكعبة وتدور حوله دنيا الاسلام متحركة لان الله يكره السكون والاستسلام . متراصة لان الله يريده بنيانا مرصوصا .

الكل يجأر بشكواه . ويبث بلواه . والاعين شاخصة الى البيت . وهناك تنفتح القلوب فلا غفوة . ولا جفوة . ويصدق الاعتراف فلا تمويه ولا ضلال . وهناك ياخذك الموج من العباد فتندفع هناك وهنا غير شاعر بجسديتك تائها في مناجاتك . منصرفا عما حولك

وفي الطواف تشعر برجولة المسلم في سيره وهو يرمل . مظهرا قوة العزم وفتوة الحركة . وفي تحية الركنين حين يرفع يديه مكبرا . وكانه الجندي يؤدي التحية لمركز القيادة . ورمز الوحدة . وفي الطواف تشعر بانكسار قلبك . وضعفك وخطير ما اتيت من جرم واوزار . وتنفتح لك ابواب الاتصال فاذا انت تدعو بما لم يخطر على بالك وتزدحم عليك جمل التاليه والتقديس والاجلال . فاذا انت تنشىء الاسلوب الذي ترضى ان تخاطب به ربك . وقد يعز عليك في غير ذلك المكان وفي غير تلك الغمرة ان تجد لك طريقة التخاطب بينك وبين رب البيت الذي جئته ملبيا وطفت به لائذا

وترتفع لغة المناجاة . فاذا انت في مقام التعطل . وهو المقام الذي تعجز فيه الجمل وتقصر الكلمات عن مجاراة القلب فيما يتحرك به من اهتزاز ويقظة . فتترك له المجال ليتكلم بلغة الوجيب والخفقان . وانها اللغة العظيمة الافصاح البالغة اقصى حدود التجرد

وتخرج من اشواطك السبعة، وقد بكى قلبك واستسلمت جوارحك ، وناح فؤادك وتخلى عنك شيطانك ، وكشفت امرك الى ربك وقد تجنبت الرياء والكذب والغرور فتقف في مقام ابيك ابراهيم تستقبل باب الكعبة، وكانك وصلت الى حدود الدنو واصبحت جديرا بان تكون على قدم ابيك ابراهيم، فتصلي هناك كما صلى ابوك الخليل وتدعو اين كان يدعو ، ثم تنعطف الى حجر اسماعيل مشيرا الى انك الطفل الذي استسلم الى الله، وخرج عن امكانياته المشبوهه المهلكة ، وتاثيراته الزائفة المضللة وتدعو وتطلب الرحمة، ثم تذهب الى زمزم ، الينبوع الذي انبثقت منه الرحمة لاسماعيل ، فانفجر الماء العذب يشفي الغلة، ويطفىء اللهيب وينعش الكبد الحراء وتشرب من ماء اسماعيل ، وتشرب ، وتعيد الشراب ، ثم تشرب فلا تصدر ، ولا تشعر بمسير الماء في جسمك الظامي ، وتشرب فيخيل اليك انك لا تشرب ليروى جسدك ، وانما تشرب لتروي روحك ، وتدفع الماء الى ممرات اخرى من جسدك غير التي اعتاد الماء ان يمر منها ، ويحركك الواجب فتنصرف عن ماء زمزم غير ممتليء ولا ريان ، لتترك المجال لغيرك من الشاربين ، وتخرج من باب السلام ، قائلا : « اللهم انت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام » وتعلم انك دخلت تحت راية السلام ، وان الحرب التي دارت بينك وبين النفس الباغية، ودامت مستعرة اللهيب بين غرائزك الملائكية وغرائزك الشيطانية ، وبين هواك ورشدك، قد انتهت بانتصارك الباهر ،ووضعت اوزارها في تلك الرحاب الالاهية المقدسة، وتجتاز باب السلام مديما الالتفات الى الكعبة ، ويشرق

في اعماقك تجاوب نوراني فاذا انت تضع عنك وزرك الذي انقض ظهرك . واذا انت قد غسلت بعض ما على قلبك من صدأ وقسوة. واذا انت ترتبط بهذه التموجات التي تغشى الطائفين والركع والسجود فتغرقهم في لجج النواميس العليا. وتلهيهم عن دنيا انفسهم وشواغلهم

وتجلس لتجيل بصرك مرة اخرى في اطراف الكعبة واركانها . فترى رجالا من العباد قد وقفوا عشرات الساعات رافعين ايديهم الى السماء ملتصقين باستار الكعبة . جاعلين صدورهم وخدودهم الى جدارها يبكون ويدعون ويستغفرون وتجمد اجسامهم فلا حركة. ولا تحول. ولا اعياء . ولا مجال للاجهاد ما دامت الكلمة للروح والغلبة لها . ولا شعور بالمحيط الزماني ولا المكاني الا اذا اقيمت الصلاة . فتراهم يخرجون من ذلك الموقف خروج القادم من غياب . ويبرزون بروز القمر من وراء السحاب. واكثر هؤلاء المتعلقين بالاستار . والمتحللين من الاوزار. ينتمون الى الشعوب التركية والهندية والاندونيسية ممن صفت بواطنهم. ورق احساسهم. واشتد اخلاصهم. وحسنت عبادتهم

هذا هو الطواف بالبيت وحكمته. وصورته الروحية المحضة .

ملاحظات ـ البلاد التونسية تواجه الركن الشمالي من الكعبة

وقال بعض الشعراء يصف الكعبة :

يروق لي منظر البيت العتيق اذا ... بدا لطرفي في الاصباح والطفل
كان حلته السوداء قد نسجت ... من حبة القلب او من اسود المقل

ومكتوب على حجر اسماعيل :

لم يحظ بالحجر فيما قدمضى احد ... من البرية لا عرب ولا عجم

بعد ابن هـاجر ان الله فضلـه الا زهيـر له التفضيل والكرم

والمراد انه لم يدفن في الحجر الا نبي الله اسماعيل وزهير بن الحارث

ومكتوب على الشباك الشمالي من جهة باب بئر زمزم - : « ماء زمزم شفاء من كل داء »

ومكتوب ايضا « آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من زمزم » اي لا يشربون حتى يصل الماء الى ضلوعهم . »

وعلى الشباك القبلي : « ماء زمزم لما شرب له » - ومكتوب ايضا : « لا يجتمع ماء زمزم ونار جهنم في جوف عبد » - وايضا : « خير ماء على وجه الارض ماء زمزم »

وتوجد بين باب الكعبة والركن العراقي حفرة تسمى المعجنة يقال ان سيدنا ابراهيم كان يعجن فيها ملاط البناء وعمقها ثلاثون صنتيمترا وعرضها ميترو ونصف في طول ميترين والناس ينزلون اليها تبركا بمواطىء اقدام سيدنا الخليل عليه صلاة الله وسلامه.

إن الصفا والمروة من شعائر الله

المسعى

قال الله تعالى « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما »

يمتد شارع المسعى - بين الصفا والمروة في الجهتين الشرقية والجنوبية من المسجد الحرام . وطوله ٤٢٠ مترا وتفتح به خمسة ابواب من ابواب الحرم . وينتهي من الجهة الشمالية بالمروة . ومن الجهة الجنوبية بالصفا . وكل منهما عبارة عن مسطح مرتفع يصعد اليه بمدرجات قليلة العدد . وبه الميلان الاخضران . وهما عمودان مبنيان في جدار الحرم . احدهما تحت مأذنة باب علي . والثاني بجوار باب العباس من الجهة الجنوبية . والمسافة التي بينهما تبلغ ٧٠ مترا وعرض المسعى من عشرة الى اثني عشر مترا

وقد كان الآتون من الصفا يصطدمون بالآتين من المروة ويشتد الازدحام في سائر ساعات الليل والنهار وتختلط حركات الساعين بحركات المترددين على الدكاكين القائمة على طرفي الشارع فقررت الحكومة السعودية احداث دربزان يفصل الشارع ويحجز الذاهبين الى الصفا عن الذاهبين الى المروة . وهو من الاعمال الهامة التي اجرتها الحكومة السعودية الحازمة

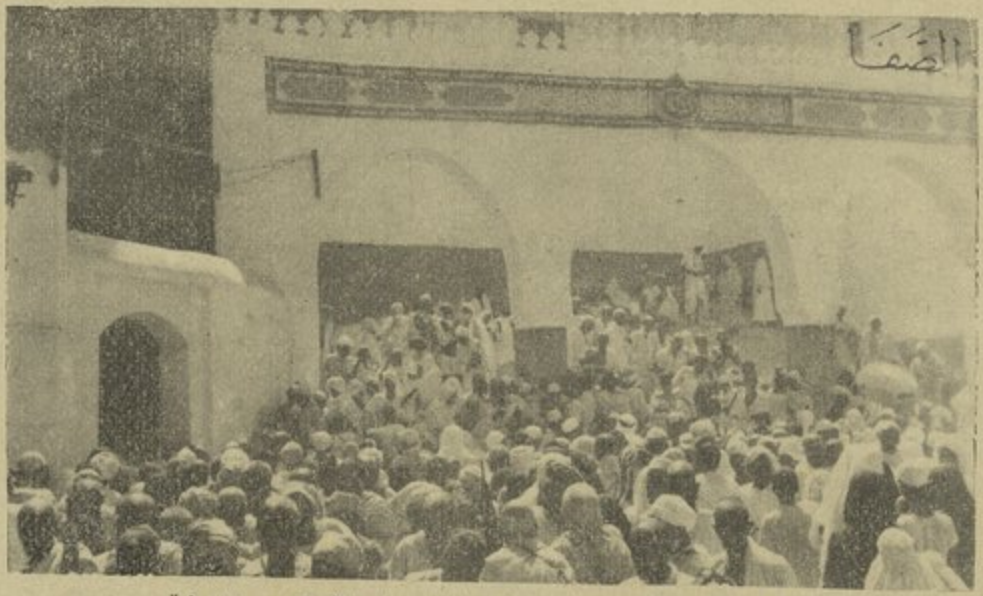

هذا هو الصفا الذي صعدت عليه هاجر عليها السلام مستشرفة

السعي بين الصفا والمروة

يجب السعي بين الصفا والمروة اثر طواف القدوم وطواف العمرة. وطواف الافاضة. وتشترط الموالاة بين الطواف والسعي.

واذا وقف الساعي فوق الصفا يستقبل الكعبة وهو يشاهدها. ويقول: «الله اكبر ثلاثا لا اله الا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا اله الا الله وحده. صدق وعده ونصر عبده. وهزم الاحزاب وحده. اللهم اني اسالك موجبات رحمتك. وعزائم مغفرتك. والغنيمة من كل بر. والسلامة من كل اثم. لا تدع لي ذنبا الا غفرته. ولا هما الا فرجته. ولا كربا الا كشفته. ولاحاجة الا قضيتها»

والسعي سبعة اشواط مع الموالاة. ويسرع الساعي فيما بين العمودين الاخضرين وبعد الفراغ من السعي يتحلل المحرم بالعمرة وحدها بحلق شعر الراس او تقصيره

حكمة السعي

في هذا الميدان المستطيل شرقي وجنوبي البيت الحرام. بين الصفا والمروة هرولت لاول مرة هاجر زوجة ابينا ابراهيم تصعد على الصفا مرة. وعلى المروة مرة اخرى مستشرفة تبحث هنا وهناك علها تهتدي الى جرعة ماء. او قادم يدلها على الماء لتروي غلة ابنها اسماعيل المشرف على الموت عطشا. وقد ترك في هذا المكان الذي تستسلم فيه كرها

مشيئة الانسان الى مشيئة الله صاغرة ذليلة . وكان الياس يحرك هاجرا فترمل في بطن الميدان لتبلغ الى المرتفع .

ولما اشرف الوليد الظامىء على الموت . واخلصت هاجر في الالتجاء الى الله انبجس الماء العذب من جوف الرمال المحرقة . وشربت الام وشرب جد العرب اسماعيل .

ومن ذلك اليوم . وابناء اسماعيل يسعون سعي امهم . ويرملون بين العمودين الاخضرين بين الصفا والمروة وهم لا يستشرفون طلبا للماء . ومقاومة للعطش . ومدافعة للموت . اذ افاض عليهم زمزم وفجر الله لهم ارض حرمه عيونا جارية يسيل منها الماء العذب الزلال . ولكنهم يستشرفون طلبا للرحمة . ومقاومة لظمإ القلوب . ودفعا لموت الضمائر . تهيمن عليهم نفس العوامل وحالات الخوف والجزع التي هيمنت من قبل على امهم هاجر .

ويسيل المسعى . بعشرات الالاف من المسلمين يتوجهون في السنتهم المختلفة والوانهم المتباينة . وغاياتهم المتحدة الى الله رب البيت الحرام يسالونه الرحمة والغوث وهم عطاش الى رحمته . محتاجون الى عونه ينادون حفاة عراة الامن الازر والاردية . مكشوفي الرؤوس . يلتقي الفوج الذاهب الى المروة . بالفوج الاتي منها . وكانهم اجيال البشرية في صعودها ونزولها .

وانه لمشهد رائع من مشاهد الانسانية . وحشر مريع الى مقامات القرب والاستمناح . وهو سير لا تلكأ فيه ولا وقوف . فالماشي على القدمين يسير والمحمول في الاحضان يسير . والمحمول على المحفات

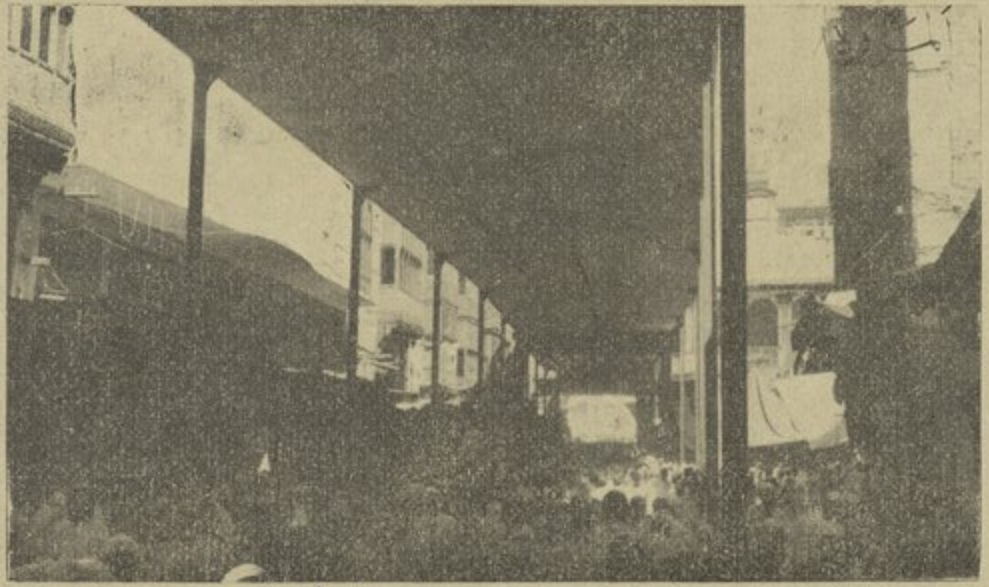

ان الصفا والمروة من شعائر الله

فوق اعناق الرجال يسير . والراكب على العربات الصغيرة المدفوعة بالايدي يسير . وهذا السير العام يفصح على ان غاية الجميع واحدة . والالتجاء الى الله سبيل الكل . وهدف السائرين جميعا

وتكمل الاشواط السبعة . ويذهب المتمتع او المعتمرا والذي افاض من عرفات الى الحلاق ليحلق او يقصر . وليطمئن الى انه بعد السعي قد دخل الى الطهارة الحسية والمعنوية . وازال اقذار المعصية وادران الخطيئة . كما ازال عنه الشعث والهوام

وتقف امام الحلاق. فاذا هو يشرع في الحلق ويدعو الدعاء المأثور « اللهم هذه ناصيتي بيدك فاجعل لي بكل شعرة نورا يوم القيامة . واغفر لي ذنبي يا واسع المغفرة الحمد لله الذي قضى عني نسكي . ومحى عني سيئتي . اللهم اغفرلي وللمحلقين والمقصرين ولجميع المسلمين »

واصوات الداعين تتجاوب في اطراف المسعى كامل ايام الحج آناء الليل واطراف النهار اذ ما يكاد ينتهي بالناس طواف القدوم وسعيه بانتهاء صباح اليوم الثامن من حجة حتى يبدا سعي الذين افاضوا من عرفه . ثم سعي المعتمرين في امواج وافواج . وخشوع وسكينة . وتضرع وتفجع . ويعترضك الشيخ الهرم والمرأة المسنة محمولين على العربة التي تجرها الايدي او على المحفات المرفوعة على الاعناق . ويعترضك الرضيع تحمله امه وتعترضك الاسرة بما فيها من شيب وولدان . وكهول وشبان . ورغم هذا الحشد الهائل . والالتحام الشديد . فلا يكاد يحدث اي حادث بين الساعين .

ومن الطاف الله وءاياته ان يسر لعباده التماس المشروبات الباردة .

ومعاصير الغلال المثلجة . وعصير الليمون الممزوج بالسكر من نفس المكان الذي ظمأ فيه اسماعيل واشرف على الموت عطشا . وانعزل عن المنجد والمغيث . ففي ذلك المكان تجد تحت طلبك بثمن بخس عصارة الاجاص والتفاح والرمان النابت شجرها في قلب القارة الاميريكية ومحلول التمور النابت نخيلها في صحاري الهند وما ذلك الامصداق دعوة ابي الانبياء عليه سلام الله : « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم . وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

او ليس من بركة هذا الدعاء الابوي ان اصبحت تصل الى الحجاز في كل يوم الاف المقاطف فوق متون السحاب تحمل الغلال والثمار من البلاد الاميريكية ومن الشام . والاقاليم التركية . ومن ايطاليا والممالك البلقانية . حيث تعرض على البيع في الحجاز قبل ان تكون في متناول ايدي اهلها . وارباب بساتينها انها بركة الله . وانها لادلة محسوسة على كرامة هذه المشاعر

وكم في السعي من رموز تشير الى اسرار الاهية علم الناس بعضها وعجزوا عن ادراك الكثير منها

ومن ابدع ما ذكره عبد الوهاب مصطفى عن السعي قوله : « والسعي بين الصفا والمروة يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا . مرة بعد اخرى . اظهارا للاخلاص في التوجه . ورجاء ملاحظته بعين الرحمة . كالذي دخل على الملك لامر ما . وخرج وهو لا يدري

ما الذي يقضي به الملك من قبول اورد . ولا يزال يتردد على فناء دار الملك مرة بعد اخرى . يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى.

هذا . وليتذكر الساعي عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة . وليمثل الصفا بكفة الحسنات . والمروة بكفة السيئات فيذكر تردده بين الكفتين . ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران . ثم يرجح الغفران بحسن ظنه »

وهكذا ينفتح لكل واحد باب واكثر من ابواب هذه الاسرار العظيمة التي تلابس مناسك الحج فيدرك منها ما تتسع له استعداداته الروحية . ومؤهلاته القلبية .

بعد السعي

يعقب السعي والحلق التحلل من الاحرام . والتمتع بما كان ممنوعا من الطيب ولبس المخيط من الثياب . وينصرف المتمتع الى الاعتكاف بالمسجد الحرام وادراك الصلوات الخمس مع جماعة المسلمين حول الكعبة . والاكثار من شرب مياه زمزم . وادامة النظر الى الكعبة . والتطوع بالطواف في غير اوقات الصلاة . وزيارة الاماكن المباركة ومنازل الوحي ومقابر مكة . وآثار النبوة . ومواقع المثابت الاولى للاسلام في الارض المقدسة . ويستمر كذلك الى اليوم الثامن من حجة الحرام وهو يوم التروية (وسمي بذلك لان الناس ينقلون الماء فيه الى عرفه .) ففي ذلك اليوم يخرج الى منى

مقبرة المعلى بمكة وفيها قبر سيدتنا خديجة زوجة الرسول وابنها القاسم قبل تسوية قبورها

الخروج الى منى والوقوف بعرفة

والمسافة بين مكة وعرفه خمسة وعشرون ميلا ينزل المسافر اثناءها بمنى ويلبث بها ليلة عرفة . ويصلي الامام بالناس بمنى يوم التروية الظهر والعصر والمغرب والعشاء قاصرا الرباعية . واذا كان يوم عرفة صلى الامام بالناس صلاة الصبح ومشى بهم بعد شروق الشمس من منى متوجهين الى عرفة

وتشتمل هضاب منى ووديها على ذكريات عزيزة و آثار جليلة . ففيها الجمرات التي ترمى بعد النزول من عرفة بالحجارة . وفيها مسجد بيعة العقبة . وفيها المسجد الذي نزلت فيه سورة الكوثر . وفيها جامع الخيف . وفيها الغار الذي نزلت فيه سورة المرسلات . وفيها الصخرة التي قام عليها ابراهيم عند ما هم بذبح اسماعيل وتسمى مسجد الكبش . وفيها الميدان الذي اعترض فيه ابليس سيدنا اسماعيل ووسوس له ان يتحدى امر ابيه ويتعاصى عن تقديم نفسه قربانا لله . فاخزاه سيدنا اسماعيل ورجمه بالحجارة ثلاث مرات

الوقوف بعرفة

قال حافظ عامر : « ان الاجتماع في ذلك السهل يدعونا الى الاقتناع باننا اجتمعنا هناك كعصبة منظمة خاضعة لنداء القانون الذي اعلنه الرسول الكريم في تعاليمه السامية . ولهذا الاقتناع شان كبير في النفس . فكل مرحلة نحو غرض من الاغراض العليا لا تكون شيئا ان لم يكن باعثها اقتناعا آتيا من وحي النفس . ومن الهام الجماعة المحتشدة في مثل هذا

الموقف الرائع . ولعل هذا بيان لحكمة الحديث الشريف « الحج عرفة » . وتتجلى روح الجهاد في الحج من عودة الحجاج من سهل عرفات نحو بيت الله . اذ يقيم الحجاج اثناء ذلك في ثلاثة اماكن مختلفة . حسب خطة سير محكمة . فهم يتركون معسكرا نحو آخر . ثم يسيرون من هذا ليقيموا خيامهم في مكان ثالث . ويطلب من الجند ان يلتزموا الاحرام طوال هذه المدة

فالمرحلة الاولى ـ عرفات ـ

ولهذا المكان اهميته الحربية لاتساع مساحته ففيه تحتشد جموع الحجاج ويقومون بمناورتهم الرمزية

والمرحلة الثانية ـ المزدلفة ـ

وهي المكان الذي كان القرشيون في الجاهليه يعقدون فيه اجتماعاتهم السياسية في اثناء الليل . وظلوا يلزمون مكانهم بعد ذلك ولا يبرحونه مع الحجاج الذاهبين الى جبل عرفات واستمروا على عقد اجتماعاتهم في المزدلفة كما اعتادوا من قبل . وكان يسمح لكل فرد ان يشترك فيها ولم تكن هناك قيود الا في حالة الاشتباه في وجود افراد من القبائل المعادية

والمرحلة الثالثة ـ منى ـ

وفيها كانت تعقد المؤتمرات الاقتصادية والمعارض التجارية التي تفصح عن اوجه النشاط عند العرب مما يحمسهم الى العمل فتقوم المراكز الصناعية وتجوب مراكبهم جميع البحار وتقصد المهم من البلاد وهي محملة بمحصولاتهم ونتاج نشاطهم

وهذه المراحل على كل اوصافهـا ـ كانحدار الجيش من ميدان الى ميدان في نظام حربي صحي ـ فهناك ثلاثة ميادين ـ عرفات ـ والمزدلفة ـ ومنى ـ يخرج الحجيج من اولها الى الثاني الى الثالث ـ ولكل منهـا عمله وواجباته . وهنا تظهر الحكمة الحربية . فليس لنشاط الجندي ميـدان واحد بل يجب ان يكون نشاطه معدا ومهيأ لكل ميدان ـ والمسلم الحق يجب ان يكون خواض ميادين

وما الحج الا مناورات روحية توجب على الجميع زيا واحدا وحركة واحدة وكلمة واحدة . وطـاعة واحدة وتقر في انفسهم فكرة التضحية حتى بالاهل والمال في سبيل غاية عليا . وتجردهم من قانون الحياة العادية وتاخذهم بقانون آخر صارم كل الصرامة . لا يمكن التسامح فيه ولو بكلمة شاذة فمن خالف هذا القانون بطـل حجه . واي امة غير الامة الاسلامية لها مثل هذا القانون ..؟ »

اليوم اكملت لكم دينكم

ذلك اليوم هو يوم عرفه . ومكان النزول هو منخفظات جبل الرحمة وفي المشهد الرحيب الذي يهرع الحجاج الى جنباته كانهم آتون الى ساحة الحشر وقد انشقت عنهم الارض . واقبلوا على الله في ثياب واحدة عراة الرؤوس شعث الوجوه . يهتفون من اعماق قلوبهم . وقرارة افئدتهم « لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك »

وينساب المعسكر الالاهي في نظامه المحكم . واناشيده الخاشعة . آتيامن مسجد ابراهيم عليه صلوات الله وسلامه بعد ان اقام بمضيق منا واتم مناورته الموفقة استعدادا للعرض الاكبر فوق الجبل المنيع اين اناخ الانبياء والرسل من لدن آدم الى محمدبن عبد الله ركائبهم وحطوا رحالهم . ولبوا نداء ربهم

ويمر الفرسان والراجلون . والمندفعون فوق العربات السيارة وصهوات الابل والخيل. وكانهم على موعد مع الله . وفي سبيل الاستجابة لدعوته ويتسارع الانسان والحيوان يجذبهم الى ارض عرفة الوادي الرملي الحبيب . وينتشر المعسكر الالاهي في ميلين مربعين بين هلال من الجبال العالية يتوسطها جبل الرحمة في ارتفاع ستين ذراعا وحوله الصخرات السود التي وقف عليها ركب الانبياء والرسل عبر الزمن متوجهين الى القبلة يبكون ويبتهلون. وهنالك يشعر اهل الموقف بانهم خرجوا

من جسديتهم ، الى الميدان الروحي المحض واستخلصوا انهسم لهذه اللحظات الحاسمة في تاريخ الانسان

انهم واقفون ما امكن الوقوف، وبارزون الى حر الظهيرة ، ما امكن ان تحتمله قواهم . ومنهمكون في الدعاء لان (افضل الدعاء دعاء يوم عرفه)

وانهم يشعرون لحظة فلحظة بالدنو من ربهم (وانه ليدنو عز وجل)

وانهم يرتفعون الى المستوى الملائكي حتى (يباهي الله بهم الملائكة يقول ما اراد هؤلاء.) وينتظرون الغفران الاكبر (لا يشهد ذلك الموقف خلق ممن قال لا اله الا الله الا غفر له) ويتوقعون العتق من النار . (وما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عددا من النار من يوم عرفه)

يوم من ايام الله . وموقف من مواقف الخشية . ولحظة من لحظات التجلي . واقبال على الرحيم الارحم . من شروق شمس التاسع من حجة الى ما بعد غروبها بقليل . وحيرة بين الرد والقبول . والتجاوز والمقاضاة .

الناس كلهم على قدم المساواة . الملك والمملوك . والغني والفقير . والكبير والصغير . والذكر والانثى . والابيض والاسود . المضارب واحدة . والخيام متساوية . والرمال متحده . والكل خاضع لنداء القانون الذي جاء به محمد وعيسى وموسى وابراهيم. انفاس الامم الغابرة تمر بك هامسة مسبحة موحية بحب الله ، والاقبال على الله ، والايمان برحمته وقدرته . ونبذ كل حول سوى حوله وطوله (الحج عرفه) . انما

جبل الرحمة ـ حيث الصخرات التي دعا عندها النبيء صلى الله عليه وسلم

الحج هذا الضجيج المرتفع من الوادي الحبيب من منخفظات جبل الرحمة ، وهذه الدموع الطاهرة التي تبلل الرمال والاردية . و (الحج ضج وثج) لان الله يستمع الى هذه الاصوات المختلطة المتداخلة . تعترف له بالذنوب وتسأله التوبة ولا تهتف بسواه . ولا تستجيب لغيره

« اللهم ان لكل ضيف قرى ، ولكل وفد جائزة ، ولكل زائر كرامة ، ولكل سائل عطية ، وقد وقفنا بهذا المشعر العظيم رجاء لما عندك ، اللهم اليك خرجنا . وبفنائك انخنا ، واياك املنا ، ولاحسانك تعرضنا)

« يا من ضجت بين يديه الاصوات ، وسكبت العبرات ، وارتفعت الزفرات لا تجعلني اخيب وفدك ؛ ولا تكلني لسواك ، فقد انقطع الرجاء الا منك ، وبطل التوكل الا عليك »

بهذه الابتهالات تدوي رحاب الجبل الرحيب . وبهذا التجرد الباكي ، والفزع الخاشع . يناجي العبيد الاذلاء ربهم ، ويخاطبون مولاهم ويفتحون قلوبهم نقية كالثلج ، طاهرة كنفس الطفل .

فاذا آذنت الشمس بالمغيب تحرك الموج من الخلائق الى جبل الرحمة . واجتهدوا في الدعاء ، وحرصوا على ما بقي في اليوم الاغر من دقائق وثواني . وتختلف لغات الداعين ولكنهم يتفقون حول محور واحد هو الاسم الاعظم . اسم الجلالة . العروة الوثقى . والكلمة الجامعة وقبس الرجاء . (الله) (يا الله)

وينقلب المعسكر الالاهي المنتصر بعد غروب الشمس للشروع في المرحلة الثانية

نحو المزدلفة

بعد غروب الشمس يزحف جنود الله . ووفده الكريم - في زحمة رائعة . وسرعة فائقة نحو المزدلفة .

والمزدلفة هو المكان الذي كانت قريش تعقد فيه الاجتماعات السياسية وانك لترى على وجوه المنحدرين من عرفات علامات الرضى - والشعور البالغ بانهم عائدون من ضيافة ربهم . وقد ملات ايديهم الهدايا والتحف والعطايا . وهم دائبون على تمجيد الله وحمده وتكبيره (سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر) . وتسيل الاباطح باعناق المطي ومحركات السيارات وتبدو عناية الله بهذا العدد الذي لا يقل عن مليون نسمة فيحفظ صغاره ونساءه وشيوخه من الدوس - والوقوع تحت الارجل والعجلات

ويمضي الموسم . ولاتسجل مصالح الامن سوى حادثة بسيطة او حوادث لا اهمية لها خاصة عند الانصراف من عرفة - والطريق بين عرفة والبيت الحرام واحد وعشرون ميلا (ك.م) تزدحم بوفود الحجيج ياتون رجالا - وعلى كل ضامر - فلا يقع بينهم من الحوادث ما يقع بمناسبة اصغر مظاهرة . او ابسط حفلة من حفلات الملاعب الرياضية في البلاد الاخرى من اطراف العالم

وانها لآيات بينات تشهد بان الله احب هذه البقاع المقدسة وشرفها عما سواها . وجعلها محل عنايته . ورعايته - واكرام اهلها وزائريها وحماهم من كل شر ومكروه .

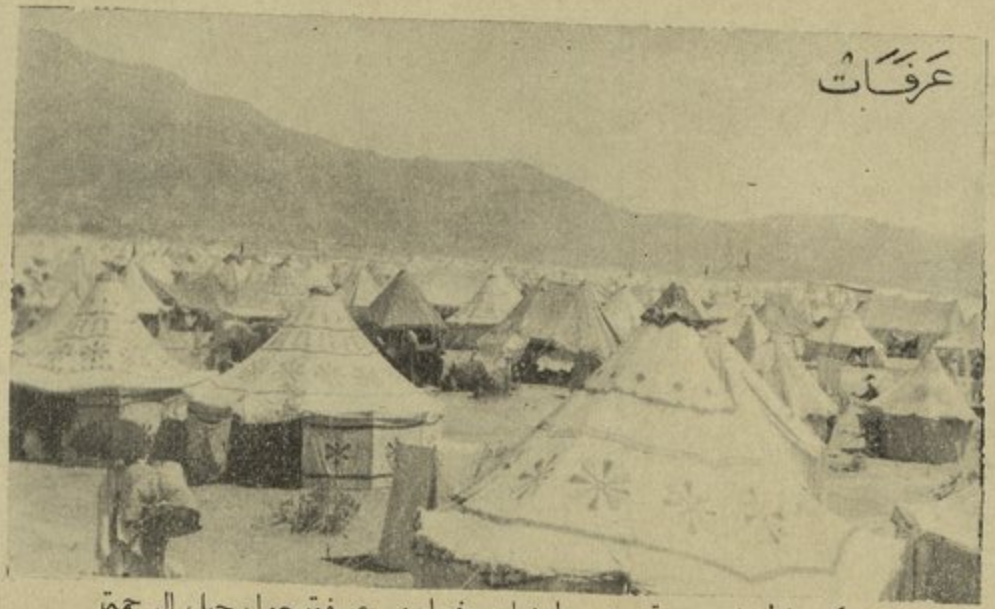

معسكر الحجاج . وقد ضربوا خيامهم في ارض عرفة حول جبل الرحمة

فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله

«ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم» في ليلة عيد النحر - بعد الافاضة من عرفه ينقلب الحجيج الى المزدلفة لا يصلون المغرب . ولا يتأخرون عن السفر - ويمرون بين العلمين اللذين لا يمر بينهما حاج وعليه ذنب - ثم يسيرون في طريق المأزمين الى وادي المزدلفة الذي تتسع امتاره الاربعة آلاف والثلاثمائة والسبعون لايواء هذه الجموع الغفيرة . وفي هذا الوادي يستعد الجيش الالاهي للشروع في المرحلة الثالثة وهي مرحلة الرمي - رمي الشر . ورموز الشر . فيجمعون الحصا - ويزدلفون الى الله بالمبيت هناك والذكر والدعاء

واليوم التاسع من شهر ذي الحجة فوق ربوات عرفه . وليلة العيد في وادي المزدلفة . ويوم العيد في مضيق منى حيث ينصرف الناس الى رمي الشياطين . وتحصيب الشرور والاثام . واهراق الدماء . دماء الاغنام - والمعز - والبقر - والابل - استعاضة بها عن الدماء البشرية التي كان يريقها الظلم والعدوان . والتسلط والطغيان .

انها المراحل الثلاثة لهذه الحركة العسكرية الرائعة - ونظام سماوي لجهاد النفس - والامتثال المطلق لاوامر السماء يقرره الرسول الكريم سيدنا محمد بن عبد الله . (خذوا عني مناسككم)

وفي المزدلفة - في المشعر الحرام - والمزدلفة كلها المشعر الحرام كما

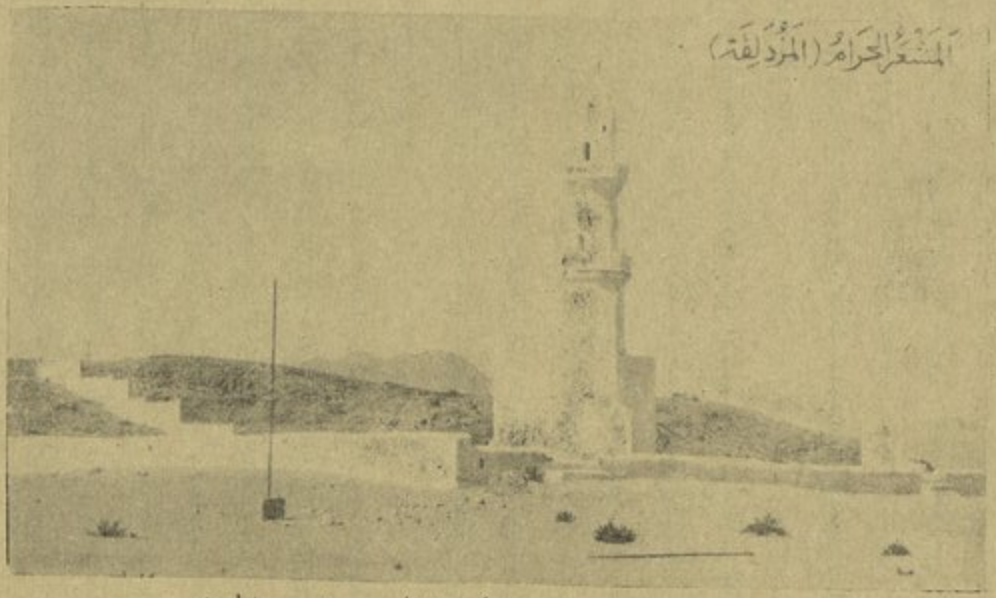

فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام

يرويه ابن عمر رضي الله عنهما ينهمك الحجاج في ذكر الله . والاستغفار والدعاء «فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم »

على الناس ان يلجؤوا الى الذكر والاستغفار . وعلى الله ان يمنحهم المغفرة والرحمة .

وهل يجد القريب من العفو الاكبر . والجزاء الاتم الا ان يغتنم هذه الساعات التي قد لا تتكرر مرة اخرى في عمر الانسان . وهل لا يعقد الانسان العزم الصارم وهو يهيئى الاجمار لقذف الشر والشيطان على التوبة الحقة والاوبة الى الكرامة الانسانية. واتباع الفضيلة والخير . والهداية والبر . وان الانصراف الى شوغل النفس . وشؤون الاهل . واطياف البنين والعائلة يابا ه البائت في المزدلفة . وينبو عنه ذوقه وينفر عنه احساسه الباطني .

وسواء أكان الى جانبك ولدك او ابوك . او زوجتك واخوك . او اي مواطن من ابناء عالمك الاسلامي الاكبر . فانك في شغل عن الجميع . لا تملك ان تتوجه اليهم بحديث او ايماء . او خطاب ونداء

سبحان من ملا تلك القلوب من جلاله . وسخرها لمناجاته . واذهب عنها الصدأ . والجفاء . وغسلها بماء الثلج وبرد اليقين

اي تفكير اعمق من ان يتجه المرء بفكره نحو وادي (المحسر) وهو على قاب قوس منه . وتتراءى له في ظلام الليل . وضياء النجوم . وما بقي من ضوء الهلال اشباح الفيل واصحاب الفيل . وقد حبسهم الله

عن البيت والهب الحسرة والخوف في قلب ابرهة الذي ذاده الله عن بيته . وقذفه بالطير الابابيل ترميه بحجارة من سجيل فجعله كعصف ماكول .

ان الرسول الاعظم تراأى له في هذا المكان بالذات موكب غير واحد من الانبياء على ناقة او جمل يأتي من مكان سحيق ملبيا يذكر الله والمزدلفة توحي في رهبة الليل . وومضات النجوم . وهمسات الذاكرين والداعين . وتوسلات المتهجدين . بالروعة والعظمة . وتحمل على الخشوع والاعتبار وان مئذنة المشعر الحرام البيضاء الشامخة الى السماء تشير كاصبع من نور الى المكان الذي وقف حوله الرسل والانبياء . والابرار والاتقياء للدعاء والاستغفار والذكر . وبالقرب منها البئر التي اروت الاكباد الآفا من السنين ولم ينضب ماؤها .

ويمضي ضيوف المزدلفة في انتظار الطلقة المدفعية التي تقطع سكون الليل وتشعر في ضيائها الذي يشق ستار الظلمة بدخول وقت الفجر فيتفازع الناس الى قربهم ودلائهم وجرارهم يتدرون الوضوء استعدادا لاداء ركعتي الفجر وفريضة الصبح ثم يتحولون الى المشعر الحرام يلازمون الدعاء الى الاسفار . « اللهم كما وقفتنا فيه واريتنا اياه . فوفقنا لذكرك كما هديتنا . واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك . فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام . واذكروه كما هداكم . وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم »

عندما يبدو ضياء الفجر كما يبدو نور الامل في ظلمة الحيرة والضلال يتاكد الانسان ان فيما حوله من ارض جرداء قفراء ذلا لعز الله . وافتقارا الى احسانه وغناه . وخشوعا يستانس به الايمان . وتجردا

تسكن اليه العبادة . وانفراد يجري في معاني التوحيد .

ومع طلوع الشمس يتعانق الحجاج في المشعر الحرام نفسه يهنيء بعضهم بعضا لا بيوم العيد . وانما بقبول الحج والعودة الميمونة من عرفة لانهم يؤمنون بان (الحج عرفة) كما ورد في الحديث الشريف

وينصب البحر الخضم من الخلائق نحو منى . شارعا في المرحلة الثالة من مناورته المقدسة . يبتدر الكثير على الارجل غير منتظر وسائل النقل الآلية والحيوانية . ويتسابق الجميع يحمل كل حصياته من السبعة الى السبعين لرجم الشيطان . وما اسخى رمال المزدلفة بحصاها . وهي التي تمنح مئات الالآف كل عام من هاتيك الحصيات المحدودة الشكل للرجم وتحصيب الشيطان

ولا يحل الزوال من يوم العيد حتى تكون المزدلفة قد رجعت الى سكونها وخشوعها ونامت بين احضان المشعر الحرام . وفي ظل صومعته البيضاء . وكانت القوافل اولها حول جمرة العقبة وآخرها بوادي منى

بوادي منى نلنا المنى اذ تبسمت ... ليالي وايام ملاح المباسم
سرور بعيد واجتماع احبة ... وقرب وقربان وغر مواسم

فلما أسلما وتله للجبين

في وادي منى

بين جبلين - في الممر الرهيب الذي سار فيه ابراهيم ابو الانبياء يقتاد فلذة كبده اسماعيل ليذبحه - امتثالا لامر ربه . واظهارا لمطلق الامتثال لمشيئته . « قال يا بني اني ارى في الانام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت ، افعل ما تؤمر . ستجدني ان شاء الله من الصابرين »

سار الخليل في المضيق ومعه ابنه اسماعيل متشجعا بالصبر مسلما نفسه للذبح وهو لم يبلغ بعد عامه الثاني عشر واعترض الشيطان سبيله وسلط اغراءه عليه وهو الطفل الصغير فسول له ان يتمرد على ابيه ، ويفر من الذبح . فثار الطفل ورجم الشيطان بصرفه عنه سبع مرات . وغاب الشيطان - ريثما ظهر من جديد في شكل آخر يبكي رحمة بالطفل ويقدم له المعونة ليتفادى الذبح ويعصي امر ابيه . ويفزع الطفل الى الاحجار يصبها على راس الناصح الشيطان فيفر لوا ذا يستانف اغراءه الملح في مظهر جديد ووصل الطفل وابوه الى الجمرة الثالثة . فاذا الشيطان يبدو له في صورة طفل ذبيح يتقاطر الدم من نحره ليفضع له المصير الذي يذهب اليه - وتحمي عزيمة الله - وقدرته الطفل الشجاع فيلجأ الى الاحجار يرمي بها الشيطان الرجيم - ويمضي الوالد والولد الى موضع القبة المقامة قريبا من الغار - الذي نزلت فيه على الرسول الكريم

مئات الآلاف من الحجاج يرمون الاحجار بالجمرة الاولى

« والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا» ويتل الوالد الحنون ولده الصغير للجبين ويشرع في ذبحه . وتضج الملائكة رحمة بالكبد الموجوع . والصغير المفجوع . ويتم الاختبار الالاهي بوصول السكين الى رقبة الذبيح . وانهزام الشيطان . وخيبته في اغواء الولد والوالد وينزل جبريل من عنان السماء وبين يديه كبش الفدا (وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين. سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحاق نبيئا من الصالحين . وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين »

هذه هي المعركة التي دارت بين المسلم القوي بارادته وعزيمته . وصبره وجلده . وبين الشيطان بخيله ورجله . ووسوسته وغروره . وقد بقي من هذه المعركة بطلها اسماعيل ممثلا في كل ولد من اولاده . والشيطان ممثلا في هذه الاعمدة الصخرية المقامة في وادي منى والاختبار الرهيب مستمر الى النهاية . اختبار قوة الايمان. وحلاوة الطاعة . وخطر الاغراء . ووسوسة الشيطان .

ويدخل الحجاج بعد المزدلفة في صميم هذه المعركة . ويسرعون في المرحلة الثالثة من مناورة الحج الموفقة . ويشعرون وهم مقدمون على منى بانهم في مسرى ابراهيم واسماعيل . وحول المسجد الذي نزلت فيه سورة انا اعطيناك الكوثر . والغار الذي نزلت فيه (والمرسلات) والمسجد الذي تمت في مكانه بيعة العقبة . والصخرة التي وقعت عليها محاولة الذبح ونزل عليها كبش الفداء

ويوحي هذا الشعور مع الازدحام الشديد . وارتفاع الغبار الى عنان السماء بالرهبة والخشوع . والتجرد والنسك .

الحجاج الميامين عند رمي الاحجار بالجمرة الوسطى

فيجتمع في المسلم عاطفة الطاعة التي انفجر عنها صدر الذبيح وعاطفة القوة لان الاسلام يريد ان لا تكون يد اتباعه يدا متعطلة او مخطئة او عاجزة .

ويمضي الى جمرة العقبة تحت مفعول هاتين العاطفتين يحمل سلاحه احجارا مصدرها وادي المزدلفة ويقتحم هذا البحر الزاخر من الناس يقذف العمود الصخري الذي يرمز للشيطان عند ما اعترض ابا العرب اسماعيل

فيستقبل العمود جاعلا البيت عن يساره . ومنى عن يمينه ويرمي بيده اليمنى واحدة واحدة متحريا اصابة المرمى قائلا في كل مرة «الله اكبر . لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد »

ويدعو فيقول :«بسم الله . الله اكبر رجما للشيطان وحزبه الله اكبر صدق وعده . ونصر عبده . واعز جنده . وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين . ولو كره الكافرون »

ولما كان الاسلام يهدف من وراء هذه الشعائر الى حكم سامية . وغايات عالية . فقد شرع ان تكون الرماية تمرينا عمليا على الاحكام والاصابه . وان يكون مسك الحصاة بطرفي السبابة والابهام . وان لا يعتد الرامي بالرمية المخطيه . والويل له ان افلت سلاحه من يده واخطأت بعض رمياته المتتابعة . وهيهات ان يجد وسيلة لالتقاط حصيات اخرى في هذا المزدحم البشري القاتل . مع ان الرمي محدد بزمن لا يتعداه وهو زوال شمس يوم العيد عن كبد السماء

وحول جمرة العقبة تنفجر غريزة الكراهية للشيطان صاخبة مزمجرة فترى جميع من شهد عرفة والمزدلفة من الحجاج . وقد اقبلوا في حماس

يحاولون ان يصيبوا باحجارهم وجه الشيطان او قلبه ـ او مقتلا من مقاتله ـ يسددون الرمي ويكبرون ويجدفون على عدو الانسان ويذكرون في سورة من الغيظ كيف جلب بخيله ورجله على آدم وابناء آدم . وكيف نجح في صرف الكثيرين عن طريق الحق وسبيل الرشد ـ ويشتد الحماس فيختم الرامي رمياته الشرعية بطلقة مسدس او لطمة يلطم بها وجه الشيطان مستعملا عصاه او نعله او اي شيء يحمله في يده

وترتفع حرارة الشمس ـ ويشتد وهجها ويزدحم الناس يستبقون العقبة قبل ان ينتهي وقت الرمي والتماسا للتحلل الاصغر من الاحرام حيث يحل للحاج بعد الرمي ان يتمتع بحرية نسبية ـ كالاغتسال والتطيب ولبس الثياب ـ ولم يبق امامه من المناسك ـ الا الذبح ـ والحلق ـ وطواف الافاضة ـ ورمي ايام التشريق . (واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى ـ واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون)

الحجاج والعمار يرمون الاحجار عند جمرة العقبة وهي الاخيرة

... حتى يبلغ الهدي محله ...

الشطر الاول من يوم العيد بمنى. حركة دائبة. واسراع وتزاحم فما يكاد الحاج يفرغ من رمي جمرة العقبة حتى ينصرف لذبح هديه ان كان متمتعا او قارنا وعليه هدي. او فدية ان كان محرما بحج (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي) (فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك) وفي المكان المخصص للنحر بمنى تساق الابل والبقر والغنم والمعز حتى ليخيل اليك ان الحجاز لم يبق على وجه ارضه كراع ولا اخفاف وتراق الدماء غزيرة. ويتولى الحاج الذبح بنفسه ليعلن بذلك على انه انسان حربي فيه قوة المسلم. لا تفزعه الحرب ولا يهوله منظر الدماء. حين تجب اراقة الدم في سبيل العقيدة السامية. والفكرة الانسانية العليا

وفي الضحية. كما يقول حافظ بك عامر «حكمة اقتصادية عليا فان كل حاج يشتري الضحية ويضحي بها. اي يدفع ثمنها لاهل الحجاز وتجارتهم هي الماشية فبذلك تنفق هذه التجارة نفاقا عظيما. ويكون اجوار بيت الله قد وجدوا مادتهم في موسم الحج من طريق حلال مشروع وبهذه الحكمة اوجب الشرع الفدية لكل مخالفة تقع في الحج من ترك واجب او فعل محظور. فكانت هذه ادق سياسة اقتصادية لا يهتدي اليها اعظم علماء الاقتصاد»

وثم ناحية اخرى ـ اهم واكبر فائدة ـ وهي ان فقراء بادية الحجاز يشترون اللحوم رخيصة الاثمان ـ ويدخرونها شرائح مصبرة جافة او منقوعة في الاسمان يقتاتون منها طوال السنة ـ فالشاة التي يشتريها المفتدي باربعة الآف فرنك يشتريها المدخر بعد الذبح والسلخ بمائتي فرنك الى اربعمائة فرنك بما يساوي عشر ثمنها او اقل والشراء لا يقع من الحاج نفسه ـ وانما يقع من الاعوان الذين تكلفهم الحكومة بادارة المسلخ الدولي ـ والاشراف على نظامه ونظافته ـ وغير صحيح ان اللحوم من الكثرة والاهمال بحيث تلقى في المزابل والطرقات العامة والخيام وتتعفن وتؤذي الحجاج برائحتها الكريهة ـ غير صحيح ذلك اطلاقا . لانه لا يعقل ان يترك فقراء الحجاز هذه اللحوم الطيبة ـ وقد بالغ المشترون في اختيار دوابها . ويكفي اقل من ساعة لتجفيفها وتصييرها قديدا صالحا للادخار ـ وللهنود والجاويين اقبال عجيب على لحوم الاضاحي ويتخذون من شرائحها المقددة هدايا يطعمون منها المهنئين لهم بسلامة العود من المواطنين . ويصلحونها قبل خزنها بالملح والزعفران . فيكون لونها وطعمها في منتهى الطيب واللذة

والحق ان حكم الله الذي امرنا بالنحر لا تدخل تحت حصر ولا يصل الى منتهاها العقل البشري .

فاهراق الدماء في الحج يحفظ توازن الاحاسيس البشرية فينا فهو يقوي القلوب الضعيفة ـ ويخمد شره النفوس الشرسة التواقة لسفك الدماء الانسانية ـ والاسلام يعمل على تحويل طاقة الشر الموجودة في النفس الى طاقة خير من غير الحاح في اطفائها او اخماد جذوتها ـ وعملية

النحر تهدف لعملية التحويل هذه في اجلى مظاهرها . ويدل الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله : « الحج عج وثج » على ان دعامتي الحج من الناحية النفسية المحضة هما ضوضاء الساعين والملبين والمكبرين وتداخل اصواتهم وارتفاع النشيد الاسلامي الموحد (لبيك اللهم لبيك) . واراقة الدماء ونحر الاضاحي واكل اللحوم »

وهل اعظم من ان يولم الله في يوم العيد لعباده الآتين للمشاعر المقدسة بهذه اللحوم الكثيرة التي تقدم للاكلين والمدخرين من الفقراء والمحتاجين وغير الفقراء والمحتاجين بسخاء وبدون حساب

ويفرغ الحجاج من النحر وقد اضحوا في حاجة ملحة للنظافة وطرح الشعث وحلق الرؤوس وتحفيف الشوارب واللحاء فيشرعون في العمل الثالث من اعمال يوم العيد بعد رمي جمرة العقبة والنحر . وهي عملية الحلق ويذهب الحجاج الى الحلاقين المنتشرين في كل ميدان وحول الخيام والمنازل . ويخرجون وقد زال عنهم الشعث وبرزت وجوههم جميلة مشرقة يشع منها النور وعلامات الارتياح والرضى ويفرض الاسلام ان يكون الحلق من الشعائر . وان يكون في وقت معين وفي مظهر عام لتتحد هيئات الحجيج . وينقادوا الى نظام سماوي لايقل عن النظام العسكري الصارم . والحياة الكشفية الرتيبة

وفي عملية الحلق هذه موسم حافل يدر على نوع آخر من اهل الحرمين وقرى الحجاز الذين ينتظرون ميسرة الحج وهم الحلاقون بالارباح الكبيرة التي تغنيهم حقبة كبيرة من الزمن . وهذا الصنف من المحترفين يقاسون ازمة طوال العام يفرجها موسم الحج . لان اهل

الحجاز يرسلون شعور رؤوسهم ولحاهم - ولايختلفون للحلاقين الامرة في الثلاثة اشهر على الاكثر - والله استجاب لدعوة خليله ابراهيم فضمن لعمار بيته الحرام اقواتهم وارزاقهم - « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة اجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

وحلاقو الحجاز من ذرية ابراهيم وعمار البيت - والحج له ثمراته لصالحهم ايضا - ومن ثم يتضح لنا لون من الوان الحكمة السامية من مشروعيته الحلق وكونه يجري في وقت واحد ومكان واحد . وعلى نسق متحد

وينصرف الحجاج وقد اتموا الحلق واكلوا الشواء الى البيت الحرام لاتمام طواف الافاضة وهي العملية الرابعة من عمليات يوم العيد - ويكره تاخير طواف الافاضة عن يوم النحر - وعن جابر « ان النبيء صلى الله عليه وسلم افاض يوم النحر الى البيت فصلى بمكة الظهر »

واذا اتم الحاج الطواف الركني - وسعى ان كان عليه سعي بين الصفا والمروة (القارن) وقبل الحجر الاسود وصلى خلف المقام وشرب من ماء زمزم - فقد تحلل من الاحرام . ورفع عنه الحجر وجاز له ان ياتي كل شيء الا النساء - ولم يبق عليه الا الرجوع الى المبيت بمنى والرمي في ايام التشريق - ثاني وثالث ورابع ايام العيد الاكبر

(واتموا الحج والعمرة لله)

فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه

العملية الخامسة من اعمال يوم عيد النحر - هي العودة من مكة بعد طواف الافاضة للمبيت بمنى ايام التشريق وهذه العمليات هي على الترتيب

١) رمي جمرة العقبة
٢) النحر
٣) الحلق او التقصير
٤) العودة الى مكة لطواف الافاضة
٥) العودة لمنى للمبيت بها ايام التشريق

والله تعالى يقول (واذكروا الله في ايام معدودات . فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه . ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى . واتقوا الله . واعلموا انكم اليه تحشرون »

والقادم من مكة بعد طواف الافاضة للمبيت بمنى يوم العيد يستقبل اقامة يومين لرمي الجمرات الثلاثة ان كان متعجلا وثلاثة ايام بعد يوم العيد ان كان متأخرا وهذا افضل - ويصلي الخمس ان شاء بمسجد الخيف وقد اخرج الطبراني . في معجمه الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى عليه وسلم قال : « صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا منهم موسى » وهو مستطيل وفي وسطه فناء كبير تتوسطه قبة ومئذنة والمسقوف هو الجهة اليسرى من المسجد وبه المحراب والمنبر الذي

خطب عليه النبيء صلى الله عليه وسلم وبه ست درجات ومقعد من الحجر والجبس خلو من الاخشاب واعمدته ٧٢٤ وفي الجهة المقابلة للمحراب مدخل عال بخمس درجات والقبة التي في وسط الفناء هي موضع صلاة النبيء صلى الله عليه وسلم بها سبعة مداخل ومحراب . وهذا المسجد الرحب يتسع لمئات الآلاف من المصلين ايام التشريق . وان شاء صلى بمسجد (انا اعطيناك الكوثر) وهو مسجد صغير

وبعد زوال يوم ثاني العيد تبدا برمي الجمرات الثلاث على الترتيب الآتي :

تبدا بالجمرة الاولى . وهي التي تلي مسجد الخيف وهي الجمرة الصغرى ثم ترمي الجمرة الوسطى . ثم جمرة العقبة . ويمتد وقت الرمي الى غروب الشمس . ويكون الرمي بسبع حصيات على النحو الذي سبق في رمي جمرة العقبة يوم عيد النحر . ولا لزوم لان يكون مورد الحصيات المزدلفة بل يكفي ان تلتقط حتى من منى

ويستمر الرمي ثاني وثالث ايام العيد للمتعجل ورابعه للمتأخر . ويعيش الحجاج هذه الايام في منى ينعمون بالراحة بعد التعب. والاجتماع بعد التفرق . ويتزاورون في منازلهم وخيامهم ويتباحثون في الشئون الاسلامية الجامعة . ويعرف كل واحد اخاه بوطن الآخر وحاجاته . والآمه . واماله وتنعقد الروابط المتينة . ودعوات التزاور .

وانهم لفي اعياد متعددة . وافراح متجددة . والمذايع تنقل اليهم اخبار العالم . واحداث الدنيا . والخيرات تعرض عليهم في اسواق منى بدون حساب فمن غلال الشام الى خضر الحجاز ولحومه الزكية . الى

علب المصبرات التي تتكدس مستوردة من كل مكان . والمياه العذبة متوافرة والثلج معروض على افواه السكك وقارعة الطريق

وسيارات الاسعاف . السعودية في حركة دائمة فلا ترى مريضا ولا مصابا بالاعياء . ولا مرهقا بالحر . والجميع يجدون طريقهم الى الاطباء والادوية

وفي منى مائتا عائلة من قبيلة قريش . يعيشون في رضى وغبطة ويعمرون تلك الاماكن الخالية . وقد قال لي احدهم . انهم يحصلون على معايش عامهم من دخل ايام العيد بمنى فيتولون نقل المياه الى الصهاريج الثانوية ويبيعون الاغنام . ويتولون ذبح الضحايا . والحلاقة . ومداخيل ايام منى تكفيهم لحاجة عامهم

فسبحان من حقق لهم دعوة ابيهم ابراهيم . وجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ورزقهم من الثمرات

وتمضي ايام منى . ويعود الحجاج ادراجهم الى مكة المكرمة اين ينتقلون الى الطواف . وشرب ماء زمزم . والصلاة حول الكعبة والنظر اليها . والدعاء حول اركانها وفي ملتزمها . وينصرف من لم يقرن العمرة والحج لقضاء مناسك العمرة

وتزدحم طرقات ام القرى بالعائدين اليها من منى . ويبدأ شد الرحال اما للعودة للاوطان بالنسبة لمن قدم الزيارة على الحج . واما لزيارة مدينة الرسول بالنسبة لمن اخر الزيارة عن الحج . وينهمك الناس في شراء التحف والهدايا التي تتكدس في اسواق مكة من كل نوع وصنف

وانها لايام جميلة . رائعة . لا مشكل فيها ولاشواغل . ينعم فيها الحاج بمجاورة البيت الحرام . واداء فرائضه الخمس في حرم الله الآمن . وتنعقد جماعة واحدة لاداء المكتوبات بامامة امام واحد هو امام الحرم المكي

اولئك لهم نصيب مما كسبوا

« الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة »

« الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه اجابهم . وان استغفروه غفر لهم »

« افضل الجهاد حج مبرور »

« فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا . فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا . وماله في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا . والله سريع الحساب »

بهذه الآيات والاحاديث تعمر نفس الحاج وقد اتم مناسكه . وادى واجبه وآب بالمغفرة والرضوان

وبهذه العهود الالاهية يطمئن قلبه ويغدو شديد الوثوق بان الله تجاوز عن هفواته . وهو وقد زال العمى والصدأ عن قلبه يكون قد عقد العزم على رد المظالم ان لم يكن قد ردها . فيرجع ما اخذه بغير حق . ويطلب عفو من اساء اليه بقول او عمل . ويلتزم باداء المكتوبات . واخراج الزكاة والصوم . والاقبال على عمل البر

وانك لترى الحجاج وقد تجاوبت في نفوسهم معاني السمو الروحاني وانسجموا مع حياة مكة يطيلون الاقامة بعد الحج بها ويستزيدون من

شرب ماء زمزم والصلاة حول الكعبة. وبذل الصدقات. والاكثار من الطواف. بينما ترى البعض وهم والحمد لله قليل يضيقون ذرعا بكل ساعة يقضونها بعد قضاء المناسك. فيزدحمون على مكاتب المطوفين وشركات النقل ويريقون ماء الوجوه والمال العريض للتعجيل بالسفر وتولية ظهورهم شطر البيت الآمن قبل المواعيد المقررة. وخارج النظام الذي تسنه الحكومة المحلية. ويبدر منهم من انواع الالحاح والتذمر ما يجعلهم يخشون ان يسيئوا الى ضيافة ربهم

ولقد يشعر الحاج عندما يدعوه السفر لاداء طواف الوداع بانه سيبتعد عن هذا القرب الالاهي. وهذا النعيم الروحي الاكبر. ويذهب الى الاغتسال ثم يدخل البيت الحرام. ليقوم بآخر عمل من اعمال الحج وهو طواف الوداع الذي لايختلف في صورته عن طواف القدوم اوطواف الافاضه ثم بعد الطواف يقف في الملتزم ويدعو بما دعى به ابن عباس رضي الله عنهماء اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك. وسيرتني في بلادك حتى بلغتني بنعمتك الى بيتك. واعنتني على اداء نسكي فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا والا فمن الآن فارض عني قبل ان تنأى عن بيتك داري. فهذا اوان انصرافي ان اذنت لي. غير مستبدل بك ولا ببيتك. ولا راغب عنك ولا عن بيتك. اللهم فاصحبني العافيه في بدني. والصحة في جسمي والعصمة في ديني. واحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما ابقيتني. واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير. اللهم لا تجعله آخر عهدي ببيتك هذا وارزقني العودة اليه مرات بعد مرات انك يا مولاي على كل شيء قدير»

ثم يخرج من باب الوداع

وانك لترى الناس عند توديعهم للبيت الحرام يتعثرون في دموعهم ويمشون ويلتفتون الى الكعبة في جلالها وهيبتها وما يحف بها من انوار . ويودون لو تسمروا في امكنتهم . وقطعوا كل صلة تربطهم بالاهل وبالاوطان . وان القلوب لتتقطع حسرة على فراق البيت ومهابط الوحي ، ومشارق الانوار . ومسرى الانبياء والرسل والملائكة وكائن من رجل يقعد به الجلد فلا يستطيع ان ينهض من مكانه . ورجل يغيب عن محيط نفسه وترتبط عيناه وقلبه بالبيت . وينفصل عن كل مرئياته وتتلاشى وشائجه التي تشده الى وطن واهل فيصرخ صراخ الوليد الذي ينتزع من بين احضان امه . ويجره رفاقه . ومطوفوه مشدوها الى حيث يحزم امتعته ويركب الناقلة صوب المدينة المنورة ان لم يكن قد زارها او الى مسقط راسه ان كان قد زار المدينة ويغيب البيت الحرام عن عيني الزائر المودع . ولكن منظر الكعبة في سواد كسوتها وازدحام الناس حولها . وتمسكهم باستارها لا يغيب عن عينيه ابدا فهي ماثلة امامه كلما مسه قبس روحي مشرق

الكعبة المطهرة

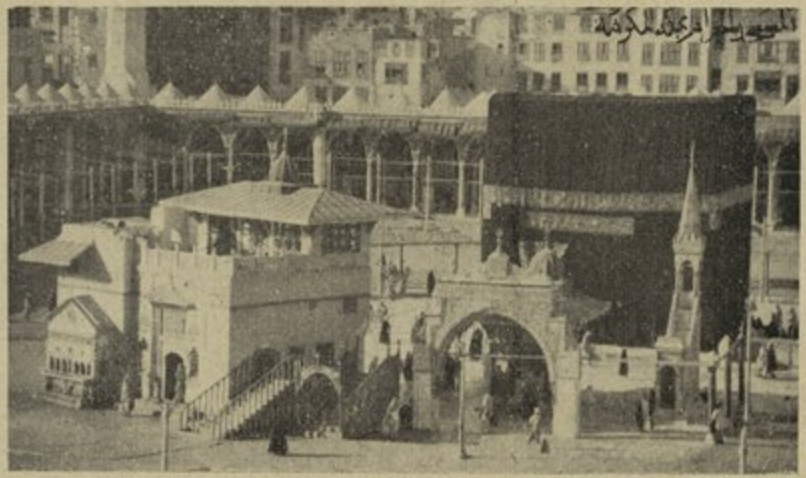

« ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا»

مناسك الحج

لأهل القارة الإفريقية

طبق مذهب الامام مالك
مع مقارنته بفقه الائمة الثلاثة
أبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، والشافعي

- دليل جامع لا غنى عنه لقاصد الحج
- مستمد من قوله صلى الله عليه وسلم " خذوا عني مناسككم "
- الاركان الأربعة لا تجبر بالدم، ويترتب عن التقصير فيها بطلان الحج
- لهذا الدليل مرشدك ورفيقك ومعلمك
- من اعتمد غيره في أداء اركان الحج فقد تخلى عن واجبه الشرعي

جمع وترتيب الحاج محمود الباجي

جدول بمعظم احكام الحج في المذاهب الاربعة

نوع العمل	في المذهب الحنفي	في المذهب الشافعي	في المذهب المالكي	في المذهب الحنبلي	ملاحظات
الحج	فرض فورا	فرض تراخيا	فرض فورا	فرض فورا	وعند محمد على التراخي
العمرة	سنة مؤكده	فرض تراخيا	سنة مؤكدة	فرض فورا	
نية الاحرام بالحج	شرط	ركن	ركن	ركن	الشرط والركن لا تصح العبادة بدونهما
نية الاحرام بالعمرة	شرط	ركن	ركن	ركن	
مقارنة الاحرام بالتلبية	سنة	سنة	سنة وقبل واجب	سنة	لايلزم بتركها شيء الا الثواب
الاحرام من الميقات	واجب	واجب	واجب	واجب	الواجب ما يلزم بتركه دم
الغسل للاحرام	سنة	سنة	سنة	سنة	
التطيب للاحرام	سنة	سنة	مكروه	سنة	مكروه اذا بقي ريحه بعد الاحرام
التلبية	سنة	سنة	واجبة	سنة	

نوع العمل	في المذهب الحنفي	في المذهب الشافعي	في المذهب المالكي	في المذهب الحنبلي	ملاحظات
طواف القدوم	سنة	سنة	واجب	سنة	
نية الطواف	شرط	سنة	لا تجب	شرط (١)	(١) في القدوم والافاضة والعمرة واما في التطوع والوداع فالنية شرط فيهما لاستقلالهما
بدء الطواف بالحجر الاسود	واجب	شرط	واجب	شرط	
جعل البيت عن يسار الطائف	واجب	شرط	شرط	واجب	
المشي في الطواف للقادر عليه	واجب	سنة	واجب	شرط	
الطهارة من الحدثين في الطواف	شرط	شرط	شرط	شرط	
طهارة البدن والثوب والمكان في الطواف	سنة	سنة	سنة	سنة	
كون الطواف من وراء الحجر	واجب	واجب	واجب	واجب	
كون الطواف في المسجد	شرط	شرط	شرط	شرط	

نوع العمل	في المذهب الحنفي	في المذهب الشافعي	في المذهب المالكي	في المذهب الحنبلي	ملاحظات
كون الطواف سبعة اشواط	واجب	شرط	شرط	شرط	الا ان اربعة الاشواط الاول ركن في طواف الزيارة
الموالاة بين اشواط الطواف	سنة	سنة	شرط	شرط	
ستر العورة في الطواف	واجب	شرط	شرط	شرط	
ركعتا الطواف	واجب	سنة	واجب	سنة	لا يجبران بالدم ويجب فيهما عند المالكية ان يكونا بوضوء الطواف كما يجب ان لا يصليا بالحجر والكعبة وان لا يفصل بينهما وبين الطواف فاصل طويل
السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة	واجب	ركن	ركن	ركن	

نوع العمل	في المذهب الحنفي	في المذهب الشافعي	في المذهب المالكي	في المذهب الحنبلي	ملاحظات
وقوع السعي بعد الطواف	شرط	شرط	شرط	شرط	
نية السعي	لا تجب	سنة	لا تجب	شرط	
بدء السعي بالصفا وختمه بالمروة	واجب	شرط	شرط	شرط	
المشي فيه عند القدرة	واجب	سنة	واجب	شرط	
كون السعي سبعة اشواط	واجب	شرط	شرط	شرط	
الموالاة بين اشواط السعي	سنة	سنة	شرط	شرط	
الموالاة بين السعي والطواف	سنة	سنة	سنة	سنة	
المبيت بمنى ليلة عرفة	سنة	سنة	سنة	سنة	
الحضور بعرفة في وقته	ركن	ركن	ركن	ركن	لحظة من زوال التاسع الى فجر العاشر عند ابي حنيفة والشافعي ومن فجر التاسع الى فجر العاشر عند احمد ومن غروب التاسع الى فجر العاشر عند مالك

نوع العمل	في المذهب الحنفي	في المذهب الشافعي	في المذهب المالكي	في المذهب الحنبلي	ملاحظات
الدفع من عرفة مع الامام او نائبه	سنة	سنة	سنة	سنة	
الجمع بمزدلفة بين صلاتي المغرب والعشاء	لابد منه	لابد منه	لابد منه	لابد منه	
المبيت بمزدلفة	سنة وقيل واجب	واجب	واجب	واجب	يكفي المكث لحظة من النصف الثاني من الليل عند الشافعي واحمد ومقدار حط الرحال عند المالكية من طلوع الفجر الى الاسفار
الوقوف في المشعر الحرام في وقته	واجب	سنة	مندوب	سنة	
رمي جمرة العقبة يوم النحر	واجب	واجب	واجب	واجب	من طلوع الشمس الى الزوال
الحلق او التقصير في الحج والعمرة	واجب	ركن	واجب	واجب	

نوع العمل	في المذهب الحنفي	في المذهب الشافعي	في المذهب المالكي	في المذهب الحنبلي	ملاحظات
الترتيب بين الرمي والذبح والحلق	واجب	سنة	مندوب	سنة	وتاخيره عن الرمي اي الحلق واجب
كون الحلق في الحرم وايام النحر	واجب	سنة	مندوب(١)	سنة	(١) بشرط ان يكون بعد الوقوف بعرفه وبعد نصف ليلة النحر والذبح يجب ان يكون بمكة ولو بعد ايام النحر وبغيرها في ايام النحر والتشريق
(٢)طواف الافاضة للحج وطواف العمرة	ركن اكثره	ركن	ركن	ركن	(٢)اول وقته النصف الآخر من ليلة النحر عند الشافعية والحنابلة وفجر النحر عند المالكية والحنفية ولاحد

نوع العمل	في المذهب الحنفي	في المذهب الشافعي	في المذهب المالكي	في المذهب الحنبلي	ملاحظات
					لاخره عند الجميع ولا يتاخر عن ذي الحجة عند مالك
تاخير طواف الافاضة عن الرمي	سنة	سنة	واجب	سنة	
رمي الجمرات الثلاث في ايام التشريق	واجب	واجب	واجب	واجب	
عدم تاخير الرمي الى الليل	سنة	سنة	واجب	سنة	
المبيت بمنى ليالي ايام التشريق	سنة	واجب	واجب	واجب	
النزول بالمحصب	سنة	سنة	مستحب	سنة	بشرط الا يتعجل والا يصادف نزوله يوم الجمعة والا نزل بمكة
طواف الوداع	واجب	واجب	مستحب	واجب	

مبحث
في
مواقيت الحج

الميقات الزماني: شوال - ذو القعده - ذو الحجة

الميقات المكاني خمسة :

اولها ذو الحليفة للقادم من المدينة

ثانيها الجحفة للقادمين من الشام ومصر وما وراءهما كاهل المغرب

ثالثها قرن - للقادمين من نجد

رابعها يلملم للقادمين من اليمن

خامسها ذات عرق للقادمين من العراق وفارس - وخراسان

والاحرام من المواقيت المذكورة وجاز الاحرام من قرب الميقات واذا تعمد المجاوزة ولم يحرم فعليه دم

الباب الاول
في
الاحرام

وفيه اربعة فصول

الفصل الأول

- في حقيقته . وهو « الدخول بالسنية في احد النسكين مع قول متعلق به كالتلبية » ولا ينعقد بمجرد النيه

الفصل الثاني

في سنن الاحرام - وهي اربعة

الاولى - الغسل - ولو لحائض ونفساء ويتنظف فيه ويزيل الوسخ

الثانية - التجرد عن المخيط في رداء وازار ونعلين والافضل البياض

الثالثة - صلاة ركعتين او اكثر من غير الفريضة

الرابعة - التلبية - وتتجدد عند تغير الاحوال ونصها : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك . والملك لا شريك لك » والملبي يجيب ربه فلا يعبث ولا يلهو

الفصل الثالث

في اوجه الاحرام

(١) افراد

(٢) قران

(٣) تمتع

(٤) اطلاق

وهي على هذا الترتيب في الافضلية لكن الادعى للمصلحة في في عصرنا الراهن هو التمتع

والافراد ان يحرم بالحج مفردا ثم اذا فرغ يحرم بعمرة من ادنى الحل

والقران على نوعين

اولهما : ان يحرم بالحج والعمرة معا ويبدا بالعمرة في نيته

ثانيهما : ان يحرم اولا بالعمرة ثم يردف عليها بالحج ويردف حتى في الطواف وقيل حتى في السعي وتندرج العمرة في الحج ويجزيه طواف واحد وسعي واحد

والتمتع : ان يحرم اولا بالعمرة ثم يحل منها في اشهر الحج ثم يحرم بالحج ويرى اللخمي من ايمتنا افضلية التمتع

والاطلاق ان يحرم على سبيل الابهام ثم يخير في صرفه الى احد الثلاثة المتقدمة ولا يفعل فعلا الا بعد التعيين. وان لم يعين حتى طاف فيجعله حجا ويكون الطواف طواف القدوم لانه ليس ركنا في الحج بخلاف العمرة فهو ركن فيها ويلزم القارن والمتمتع بالدم. ويشترط في القارن

اولا : ان لا يكون من الحاضرين

ثانيا : ان يحج من عامه

ويشترط في التمتع ستة شروط :

١) ان يقدم العمرة على الحج
٢) ان يقع بعض اركانها في اشهره
٣) ان لا يعود الى بلده
٤) ان يكون في عام واحد
٥) ان لا يكون من الحاضرين (ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام)
٦) ان يكونا عن واحد احترازا مما اذا كانت العمرة له والحج لغيره او العكس

الفصل الرابع

فيما يمنعه الاحرام

وذلك سبعة انواع .

١) اللبس . والمحرم ضربان رجل وامرأة فاحرام الرجل في راسه ووجهه . اما الراس فيحرم ستره بما يعد ساترا كالعمامة والقلنسوة والعصابه او بالطين وله الاستظلال بالبناية والاخبية ويتقلد السيف . ويشد المنطقة على الجلد او الازار ان احتوت على نفقته الضرورية وله ان يضع خرقا صغارا على جرحه . والمراة احرامها في وجهها وفي كفيها ولها لبس الحلي والحرير وان سترت وجهها او بعضه فالفدية ولها سدل ثوب على وجهها لارادة الستر

٢) الطيب . فان كان جافا كالمسك وعلق فعلى مستعمله الفدية .

وان كان مائعا فيكره ولا فدية . وكذلك ما طبخ في الطعام ولا يبقى منه شيء في الفم - ولاضرر مما يصيبه من طيب الكعبة - ولا يستديم شم الطيب

٤) الدهن - وازالة الوسخ - يحرم الدهن ولو بغير طيب بالنسبة للرأس . واما الجسد فان كان بمطيب فالفدية وان كان بغير مطيب فدهن شقوق اليدين والرجلين فلا شيء عليه ويجوز تقطير العينين والاذنين والكحل وان كان بغير علة ففيه الفديه

٤) القلم واباتة الشعر - يحرم قص الاظفار . وتحرم اباتة الشعر بالحلق او القص او النتف او باستعمال المواد المزيلة سواء من العانة او الشارب او الابطين او الانف الا ما سقط بالركاب والسرج فلا حرج فيهما . وقص الاظفار والشارب واللحية يوجب الفدية . ولا يقتل الهوام وان فعل اطعم حفنة من الحبوب - ويطرح الثوب الذي فيه الهوام والاوساخ ويغسله ثم يعيد لبسه - وله ان يبط جرحه ويفقأ دمله

وفدية الاذى على التخيير . وهي اما صيام ثلاثة ايام متتابعة او اطعام ستة مساكين لكل مسكين مدان . او ينسك بشاة حيث شاء من البلاد - والفدية في المخالفة المتعمدة لا تزيل الاثم

٥) الصيد - ويحرم بالاحرام قتل الصيد في الحل او الحرم . سواء ما يحل صيده او ما يحرم وكذلك التعرض لابعاض الطير وبيضه وكذلك طير الماء الا الغراب والحدأة والفارة والعقرب والكلب العقور . ولا يحل اكل ما ذبحه المحرم لانه كالميتة - والفدية اخراج مثل ما صاده من النعم

وحكمه كحكم الهدي . ويحرم قطع ما ينبت بنفسه الا الاذخر والسنا ويكره قطع الشجر

٦) يحرم على المحرم ان يتزوج او يزوج وكل عقد باطل ويفسخ . وتجوز له الرجعة

٧) الجماع ومقدماته . الجماع يفسد الحج ويوجب الهدي . سواء كان في القبل او الدبر في الادمي او غيره وان لم ينزل . والانزال بالقبلة او الجس او حركة دابة مستدامة عن نظر او تذكر . ويقضي الحج الفاسد في قابل بمثل الذي فسد ميقاتا واقرانا او افرادا

الباب الثاني
في
دخول مكة

الفصل الأول

الدخول لمكة سنة قبل الذهاب الى منى وعرفات ويقول اذا انتهى للحرم : « اللهم ان هذا حرمك وحرم رسولك فحرم لحمي ودمي على النار . اللهم امني من عذابك يوم تبعث عبادك »

ويغتسل بذي طوى (بئر معروف) ويدخل من ثنية كداء (موضع باعلا مكة) ويدخل نهارا ان امكن ويتجه راسا الى المسجد الحرام . ويبدأ بالطواف ويدخل من باب بني شيبة ويقدم رجله اليمنى . ويقول « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اغفرلي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك . »

واذا وقع نظره على البيت يقول : « اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام . اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما . ومهابة وتكريما » ويكبر قبل ذلك ثلاثا ويرفع يديه . ثم يطوف طواف القدوم ويسعى واذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال: «بسم الله اللهم اغفرلي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك »

ويكثر من شرب ماء زمزم - ويقول عند شربه « اللهم اني اسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء »

الفصل الثاني

(الطواف)

اذا دخل المسجد فليقصد الحجر الاسود فيستلمه (وان امكن فبالتقبيل) بالفم وان تعذر فليكبر اذا حاذاه ولا يرفع يديه ثم يطوف والبيت على يساره الى ان يصل الى الركن اليماني فيستلمه بيده ثم يضعها على فيه من غير تقبيل ثم يتمادى الى ان يصل للحجر الاسود فيقبل او يستلم - وذلك شوط - ثم يكمل سبعة اشواط ثم يركع ركعتين خلف المقام ان امكن يقرأ فيها يا ايها الكافرون وقل هو الله احد - ويزاحم على الحجر الاسود ما لم يكن اذى - وتقبيل الحجر بغير صوت - ويرمل في الثلاثة اشواط الاولى ولا دم في تركه وللطواف : واجبات - وسنن - ومكروهات

واجباب الطواف ستة :

١) شروط الصلاة من طهارة وستر وعليه هدي ان ترك ذلك

وانواع الطواف الركني ثلاثة (الافاضه) (والقدوم اذا كان السعي بعده) (وطواف العمره) واذا ترك في طواف الافاضة الوضوء يرجع له الا ان يكون طاف بعده تطوعا فيجزيه واما طواف القدوم فاذا سعى بعده بغير وضوء فانه يعيد السعي بعد رجوعه من عرفات .

ولو انتقض وضوؤه اثناء الطواف تطهر واستانف ولو بنى كان كمن لم يطف. واما الخامسة فان طاف بها ناسيا ثم ذكر طرحها متى ذكر وبنى . ولو رعف وهو في الطواف خرج وغسل وبنى

٢) ان يجعل البيت على يساره فان طاف وهو على يمينه رجع - واذا بدأ الطواف من باب البيت فما بعده ملغى الى الحجر الاسود لان البداية به - وان ابتدأ بين الحجر والباب اجزاه ان اتمه في الموضع الذي بدأ منه

٣) ان يطوف سبعا . وان شك في العدد بنى على الاقل كالصلاة

٤) ان يكون بجميع بدنه خارجا عن البيت فلا يمشي في شذروانه ولا في محيط الحجر لان بعضه من البيت ولا يطوف منحنيا لانه يتحيز بذلك هواء البيت

٥) ان يطوف داخل المسجد فان طاف خارجه لم يجزه - واذا انحرف حتى بلغ السقائف وزمزم لزحام شديد اجزأه

٦) ركعتا الطواف خلف المقام ان امكن وحكمهما حكم الطواف في الوجوب والندب

سنن الطواف اربعة

١) المشي - واذا تركه قادرا عليه الهدي

٢) استلام الحجر الاسود بفيه - ولمس الركن اليماني في اول شوط

٣) الدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » « رب قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه . واخلف علي كل غائبة بخير ». ويقطع الطواف اذا اقيمت الصلاة

٤) الرمل للرجال لا للنساء في طواف القدوم وطواف الافاضة.
ويقول في رمله (اللهم اجعله حجا مقبولا . وذنبا مغفورا، وسعيا مشكورا)

مكروهات الطواف

١) القراءة
٢) التلبية
٣) الشراب
٤) ان يحسر عن منكبيه
٥) انشاد الشعر

واذا فرغ من الطواف يدعو لدى المتزم وهو ما بين الحجر الاسود والباب

ولا بأس ان يعتنقه ويلح في الدعاء عنده ويتعوذ به ولا يتعلق باستار الكعبة ولا يول ظهره للبيت اذا دعا

الفصل الثالث

(السعي)

اذا فرغ الطائف من طوافه فليخرج من باب الصفا يقدم رجله اليسرى قائلا : « اللهم اغفرلي ذنبي وافتح لي ابواب فضلك » ثم ياتي الى الصفا ويطلع عليه ثم يقف مستقبلا القبلة . وله ان يرفع يديه ثم ينزل فيخب بين الميلين الاخضرين ثم يمشي الى المروة فيفعل فيها كالصفا فذلك شوط ثم يكمل سبعة اشواط يعد البداءة شوطا والرجعة شوطا فذلك اربع وقفات على الصفا واربع على المروة . واذا رقي على

الصفا حتى راى البيت فليقل : « لا اله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا اله الا هو وحده . انجز وعده . ونصر عبده . وهزم الاحزاب وحده » ويقول ذلك ثلاث مرات فذلك احدى وعشرون تكبيرة وسبع تهليلات

والاسراع في السعي اشد من الرمل في الطواف . ولو رمل في جميع سعيه أجزء وكذلك لو لم يرمل

ولا يجلس على الصفا والمروة الا لضرورة، ولو اقيمت عليه الصلاة لم يقطع ، وان ركب وهو قادر فعليه دم

ويستحب فيه شروط الصلاة . ولا يقف عند الدرج لانها حديثة وليست نهاية الشوط ويسن اتصال السعي بالطواف فان انتقض وضوؤه اعاد الطواف والسعي . ولا يفرق ما بين الاشواط فان طال اعاد الجميع ولا يكون السعى في النسك الا مرة واحدة

الفصل الرابع

(الوقوف بعرفه)

عند ظهر يوم الزينة . (وهو سابع حجة) يصلي الامام الظهر ويصعد على المنبر ويخطب خطبة واحدة او كالجمعة اثنتين وهي اولى خطب الحج والثانية في عرفة والثالثة في اليوم الحادي عشر بمنى وتشتمل الخطب على بيان لمناسك الحج مرحلة مرحلة وتفتتح الخطب بالتكبير كالعيدين . وفي اليوم الثامن (وهو يوم التروية) يبيت الناس بمنى يصلون الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح مقصرين . ويكره تقدم

الناس الى عرفه من غير مبيت بمنى ولا يخرجون من منى الا بعد ان تطلع الشمس على ثبير وعند التوجه الى عرفة يقول الحاج :

« اللهم اليك توجهت ، وما عندك طلبت ، ونحوك قصدت ، واليك رجوت ، وبك وثقت فاسالك ان تبارك لي في سفري ، وان تغفر لي ذنوبي ، وان تقضي لي حوائجي ، وان تجعلني ممن تباهي به من هو افضل مني ، انك على كل شيء قدير »

فاذا وصلت الى عرفة فانزل بنمرة وذلك السنة واغتسل وصل مع الامام الظهر والعصر جمعا وقصرا وذلك اثر الزوال ، فاذا فرغت فهلل وكبر وتوجه الى موضع الوقوف لسماع خطبة الامام المشتملة على احكام الوقوف والمبيت بالمزدلفة والوقوف بالمشعر والرمي . وبعد الخطبة ينصرف الحاج الى الدعاء والابتهال الى الغروب

والركوب افضل . والقيام افضل من الجلوس . ويكثر من ترديد . « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » ويسال الله مستقبلا القبلة باسطا كفيه كهيأة المستجدي

والواجب الركني هو الوقوف جزءا من اول الليل الى طلوع الفجر يقفه بجزء من عرفه

والوقوف نهارا مع الامام واجب ينجبر بالدم اذا تركه

وفي الحديث الصحيح « الحج عرفه فالمحروم من قصر في الاهتمام بذلك » فلا يشتغل بلغو ولا بيع ولا شراء . واوجب مالك على من دفع قبل الغروب ولم يخرج بعده الدم . فعلى الحاج ان لايدفع الا بعد الغروب

الفصل الخامس

(في الافاضة من عرفات والنزول بمزدلفة)

فاذا اغربت الشمس وتحقق غروبها ـ افاض الامام والناس معه بسكينة ووقار ويمرون بين المازمين ويستمرون في الدعاء ـ ويؤخرون صلاة المغرب فاذا وصلوا الى المزدلفة صلوا المغرب والعشاء جمعا وقصرا باذانين واقامتين على المشهور ـ ويسن المبيت بمنى فان نزل ثم دفع فلادم عليه ـ وقد خالف السنة . ولا باس ان يحيي ليلته مصليا لانها ليلة العيد (ومن احيا ليلة العيد احيا الله قلبه يوم تموت القلوب) ويلتقط سبع حصيات من المزدلفة . ويصلي الصبح في اول وقته ثم يقف بالمشعر ولادم في تركه

اعمال يوم العيد ـ (١) صلاة الصبح بمزدلفة (٢) الوقوف بالمشعر (٣) الاسراع في بطن المحسر (٤) أتيان منى (٥) رمي جمرة العقبة (٦) النحر (٧) الحلق او التقصير من جميع شعره ـ والمرأة تاخذ من شعرها قدر انملة والحلاق افضل في حق الرجل والصغيرة . ويقع امرار الموسى على الراس ان لم يكن به شعر . ويغسل راسه قبل الحلاق . فلو قدم الحلق على الرمي فعليه دم (٨) طواف الافاضة (٩) السعي على من لم يسع (١٠) العودة الى منى (١١) المبيت بمنى

الفصل السادس

(في المبيت بمنى والرمي)

فاذا دفع الى منى بات بها ثلاث ليال والمتعجل ليلتين ـ وان

ترك المبيت بمنى ليلة او جل ليلة لزمه دم . ويرمي في كل يوم بعد النحر احدى وعشرين حصاة قدر النواة اصغر من الانملة طولا وعرضا. ويلتقط الاحجار ولا يكسرها. ويرمي كل يوم في كل جمرة سبعا متتابعة مكبرا رافعا صوته. ولا يجزىء الطين والمعادن وبقايا البناء ووضع الحصاة ـ وطرحها لا يجزىء ايضا ـ ويبدأ بالجمرة التي تلي مسجد منى ويأتي من امامها ويستقبل القبلة ـ حامدا مهللا مصليا على النبيء صلى الله عليه وسلم ثم يثني بالوسطى كذلك ويأتي جمرة العقبة فيرميها من اسفلها ولا يقف للدعاء بعد ذلك ـ والعاجز والصغير ينيبان من يرمي عنهما وعلى الكبير المنيب الدم دون الصغير

ووقت رمي العقبة من طلوع الفجر الى غروب الشمس والافضل الزوال قبل صلاة الظهر ووقت الرمي ايام التشريق من الزوال الى الغروب

ووقت القضاء الى غروب اليوم الرابع فاذا غربت فات الرمي مطلقا

واذا نسي شيئا من الجمرات ثم ذكره بعد ان رمى فانه يأتي بما نسيه وما بعده في يومه ويعيد ما هو في يومه استدراكا لفضيلة الترتيب ولاهل الآفاق ان يتعجلوا وان اقاموا بمكة ـ والمتعجل يخرج من منى متجاوزا جمرة العقبة قبل الغروب

والرمي من الابعاض المجبورة بالدم ولا خلاف في وجوب الدم مع الفوات

الفصل السابع

(في الهدي وتحللات الحج)

الهدي ـ يذبح بمنى ان وقف به صاحبه او نائبه بعرفه ـ والهدي

الذي لم يقف بعرفه وذبح بمكة يخرج به الى الحل ليجمع بين الحل والحرم (وذلك في هدي جزاء الصيد . وما نقص من الحج والعمرة . وهدي التمتع والقران والفساد والفوات)

والنسك . هو ما وجب لالقاء الشعث ونحوه فلا يختص بزمان ولا مكان

وفدية الاذى . (اطعام) او (صيام) او (نسك) بذبح شاة .

ومن عجز عن الهدي صام عشرة ايام ثلاثة في الحج وسبعة اذا رجع . وحكم الذبيحة كحكمها في الضحية الجذع من الضان والثني مما سواه والافضل ما هو اعظم بدنا

ويأكل الحاج من لحوم الهدي دون لحوم النذر . ولا يجوز الاشتراك في الهدي

وللحاج تحللان يحصل احدهما برمي جمرة العقبة فيحل له ما كان ممنوعا الا ثلاثة . النساء . الصيد والطيب . والثاني طواف الافاضة ويحل به الجميع وان وطئي قبل ان يحلق فعليه الهدي

الفصل الثامن

(في الرجوع الى مكة وطواف الوداع)

واذا رجع الناس من منى نزلوا بالابطح فصلوا به الظهر والعصر والمغرب والعشاء . ثم يدخل مكة بعد العشاء ولا دم في تركه وذلك كله في حق غير المتعجل . ثم يطوف طواف الوداع

الفصل التاسع

(احكام عامة)

افعال الحج على مقتضى المذهب المالكي تنقسم الى ثلاثة اقسام

الاول: واجبات اركان . وهي (الاحرام) (السعي) (وقوف عرفه) (طواف الافاضة)

الثاني: واجبات ليست باركان وهي ان تركت تجبر بالدم وهي ثلاثة عشر . (ترك التلبية كليا او عند اول الاحرام) (ترك طواف القدوم لغير المراهق) (ترك السعي بعده لغير الناسي) (ركعتا طواف القدوم والافاضة) (ترك الاحرام من الميقات لمريد الاحرام) (المشي للقادر) (الوقوف مع الامام بعرفة نهارا) (الدفع معه بعرفه) (ترك الجمار جميعها او جمرة او حصاة) (ترك المبيت بمنى ليلة كاملة او جل ليلة) (النزول بمزدلفة ليلة النحر على الاشهر) (اعادة السعي في حق من انشأ الحج بمكة وطاف اولا وسعى قبل خروجه الى عرفات) (عدم تاخير الحلاق الى بلده) فهذه واجبات تجبر بالدم

الثالث: سنن ومستحبات . فهذا القسم لا يجب فيه دم ولا اثم . كالغسل لدخول مكة وترك الرمل في الطواف . او في السعي او عند عبور بطن المحسر . واستلام الركن . وترك الصلاة قبل الوقوف بعرفة . وترك الحلاق بمنى يوم النحر . وترك طواف الوداع . وترك مبيت منى ليلة عرفة . والمبيت بمزدلفه . وترك الدفع منها . وترك الوقوف مع الامام بالمشعر . وترك القيام عند الجمرتين للدعاء

الفصل العاشر

(لو احق الحج)

اولا : موانع الحج ستة . (١) العدو والفتن . ومحاصرة العدو اما عن البيت وعرفة . او عن عرفة فقط فياتي بافعال العمرة فقط والمرض العام كالعدو (فان أُحصرتم فما استيسر من الهدي) (٢) حبس السلطان (٣) مانع الزوجية (٤) استحقاق الدين (٥) الابوة فللأبوين المنع من التطوع بالحج ومن تعجيل الفرض

ثالثا : الاجارة على الحج . المستنيب اما ان يكون حيا او ميتا . فالحي ان كان قادرا بنفسه لم تجز له الاستنابة . وان كان عاجزا فالمشهور ان لا تلزمه ولا تجوز له الا الاقارب فتجوز النيابة على مذهب ابن وهب

واما الميت فاما ان يوصي بذلك اولا . فان لم يوص . ولم يكن حج الفرض لا يحج عنه . وان اوصى انفذت من الثلث مطلقا حجة فرض او نفل . وللقريب ان يحج عن قريبه حج الفرض ويسقط الفرض عنه بذلك

وحج النيابة بالاجر على نوعين

الاول: الاجارة المضمونة . وهو حج موصوف من مكان معلوم باجرة معينة

الثاني : اجارة الابلاغ . بلاغ في الحج . اي ان وفى بالحج كان له الثمن والا فلا شيء عليه واذا مات قبل الحج لم يكن لورثته شيء .

وبلاغ في الثمن ويقتضي ان ياخذ الرجل ما ينفقه فان فضل شيء رده والاجارة المضمونة افضل

ثالثا: العمرة

وهي سنة ـ ولها ميقات مكاني كميقات الحج الا اذا كان بمكة سواء كان من اهلها او غير اهلها فيخرج الى الجعرانه ويحرم منا ليجمع بين الحل والحرم ـ وزماني وهو جميع اوقات السنة ـ الا في يوم النحر وايام التشريق ولا عمرة الا بعد الفراغ من الحج ـ والتلبية كالحج

واركانها ثلاثة ـ (١) الاحرام (٢) والطواف (٣) والسعي ـ ثم يحلق بعد ذلك ويقصر وقد تمت عمرته ـ ويكره تكرارها في العام الواحد

رابعا : طواف (الوداع)

في الحديث (لا ينفر احدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت الطواف) ولا دم في ترك طواف الوداع ـ واذا انصرف المودع قال : «آيبون ـ تائبون ـ عابدون ـ ساجدون ـ لربنا حامدون ـ صدق الله وعده ونصر عبده ـ وهزم الاحزاب وحده»

الآداب الشرعية

عند زيارة المدينة المنورة

اولا يجب ان ينوي الزائر زيارة المسجد النبوي . والبيت النبوي

ثانيا ينزل خارج المدينة فيتطهر . ويركع . ويلبس احسن ثيابه . ويتطيب . ويجدد التوبة . ويمشي راجلا .

ثالثا يقدم رجله اليمنى اذا دخل للمسجد قائلا « بسم الله اللهم اغفرلي ذنوبي الخ »

رابعا يبدا بالركوع . وان كان في غير وقت الجواز بدأ بالقبر الشريف . ويكون الركوع بالروضة والاحسن بالعمود المخلق . ولا يلتصق بالقبر ولا بالحواجز

خامسا يبدأ بالسلام على الرسول الاعظم فيقول : « السلام عليك ايها النبيء ورحمة الله وبركاته وعلى ازوجك وذريتك واهلك اجمعين . بلغت الرسالة . واديت الامانة . ونصحت الامة . وعبدت ربك . وجاهدت في سبيله . ونصحت لعباده صابرا محتسبا حتى اتاك اليقين صلى الله عليك يا نبي الله افضل الصلوات واطيبها وازكاها »

ويسلم على الشيخين ولا يقف بالقبر طويلا ولا يطوف به ولا يتمسح بيده ولا بالمناديل ويزور البقيع ومسجد قباء ويشرب من بئر الخاتم .

الفهارس

فهرست المواضيع

فلسفة المناسك وحكمها العليا

التقديم ٥

خواطر الطريق

واذن في الناس بالحج ٨
يا أيها الناس اشهدوا منافع لكم ١٦
طريق الفرار الى الله ٢٧
ادخلوا مصر آمنين ٣٥

في مدينة الرسول

السلام عليك يا رسول الله ٤٥
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك ٦٤
في مدينة الرسول ٧٢
من البقيع الى أحد ٧٩
قبل يوم الوداع ٩٢
اعظم مشاريع العمارة في حرم الله ٩٩
وداع مدينة الرسول ١٠٤

في طريق مكة

من جدة الى مكة ١١٢

الشروع في المناسك

وطهر بيتي للطائفين ١٢٢
ان الصفا والمروة من شعائر الله ١٣٢
اليوم اكملت لكم دينكم ١٤٤
فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله ١٥٠
فلما اسلما وتله للجبين ١٥٥
حتى يبلغ الهدي محله ١٦٢
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ١٦٨
اولئك لهم نصيب مما كسبوا ١٦٩

مناسك الحج

جدول بمعظم احكام الحج في المذاهب الاربعة ١٧٦
مبحث في مواقيت الحج ١٨٤
الباب الاول في الاحرام ١٨٤
الفصل الاول في حقيقة الاحرام ١٨٥
الفصل الثاني في سنن الاحرام ١٨٥
الفصل الثالث في اوجه الاحرام ١٨٥
الفصل الرابع في موانع الاحرام ١٨٧
الباب الثاني في دخول مكة ١٩٠
في كيفية الدخول ١٩٠ - الطواف ١٩١ - السعي ١٩٣ - الوقوف في عرفه ١٩٤ - في الافاضة من عرفة والنزول بمزدلفة والمبيت بمنى ١٩٦ الهدي ١٩٧ - الرجوع لمكة ١٩٨ - احكام عامة ١٩٩ - لواحق الحج ٢٠٠
آداب زيارة المدينة المنورة ٢٠٢

فهرست الصور

الموضوع	الصفحة
صورة جلالة الملك ابن السعود	٣
صورة جامعة لحرم الله	٧
صورة المؤلف عند السفر	١٥
صورة المودعين بالمطار	١٩
صورة المؤلف يركب الطائرة	٢١
جامع القلعة بمصر من الخارج	٣٤
جامع القلعة بمصر من الداخل	٤٠
القبة الخضراء والمئذنة النبوية	٤٤
صورة جامعة للمدينة والمسجد النبوي	٤٧
المسجد النبوي من الجهة الجوفية	٥١
المحراب النبوي والروضة الشريفة	٥٣
المواجهة	٥٦
مقبرة البقيع	٨١
مزار اهل البيت	٨٣
مصرع سيدنا الشهيد حمزه	٨٦
قبر سيدنا حمزة	٨٧
مسجد قبا	٨٩
مكان توسعة الحرم النبوي	١٠٣

فهرست الصور

الموضوع	الصفحة
صورة الكعبة وما حولها	١١٨
باب الكعبة المشرفة	١٢١
الحجر الاسود	١٢٧
الصفا	١٣٣
المروة	١٣٦
مقبرة مكة	١٤٠
جبل الرحمة بعرفه	١٤٦
عرفات	١٤٩
المشعر الحرام	١٥١
الجمرة الصغرى	١٥٦
الجمرة الوسطى	١٥٨
الجمرة الكبرى	١٦١
الكعبة المشرفة	١٧٢

297.38[redacted]
الباجي، المنتقى
وقد الله الى حرمه الأمن...
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01000413

297.38
B16wA